خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة

فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب



تأليف: تانكريد دورست

ترجمة: عبد الغفار مكاوى

الطبعة الثانية

2/129

المشروع القومي للترجمة

المركز القومي للترجمة

خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة

و

فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٢٩/ ٢
- خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة
  وفرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب
- تانكريد دورست
- عبد الغفار مكاوى
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة مسرحيتى:

1- Grosse Schmährede an der Stadt mauer

2- Fernando Krapp hat mir diesen Brief geschrieben

Von: Tankred Dorst

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

خطبة الإدانة الطويلة عند سور المدينة
و
فرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب

تأليـــف: تانكـــريد دورســـت
ترجمة: عبد الغفار مكاوى



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١٦٢٩٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 9 - 531 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

تقـديـم

« كان السؤال الذى شغلنى وحركنى فى جميع مسرحياتى هو هذا السؤال : كيف ينبغى على الإنسان أن يعيش ، وما الذى ينبغى عليه أن يفعله ؟ » .. ولأن السؤال قد طرحته أجيال من الأدباء والمفكرين والبشر العاديين منذ عصور لا تدركها الذاكرة ، وسوف تواصل طرحه أجيال أخرى فى عصور لا نستطيع أن نتنبأ بطبيعتها وأحوالها ، فقد اهتدى السـائل – وهو الكاتب المسـرحى تانكريد دورست الذى نقدم فى هذا الكتاب عملين من أجمل وأشهر أعماله – إلى الحقيقة البسيطة التى تلزمنا بالخضوع لها ، دون التوقف فى الوقت نفسه عن معاودة طرح السؤال بكل الصيغ والأشكال الممكنة ، ألا وهى استحالة التوصل لإجابة نهائية وحيدة عليه ، لأن كل الإجابات التى زعمت على مدى التاريخ أنها هى الأخيرة والقاطعة قد ثبت فشلها الذريع ، وربما تسبب بعضها فى كوارث ومآس لا أول لها ولا آخر ... لهذا لا يدهشنا أن نجد كاتبنا يقول عن مسرحه إنه هو مسرح الحيرة والتساؤل المستمر الذى يكتفى بإثارة العقل والوجدان ولا يتورط فى الزعم الأجوف بتقديم الحقيقة أو الحقائق النهائية ، وكأن هذا المسرح يستظل بالعبارة الجدلية الساخرة الشهيرة التى أطلقها سقراط فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وهى أنه لا يعرف سوى أنـه لا يعـرف ، أو بالعبـارة المفعمة بالشك والألم التـى أطلقهـا « مونتنى » فى القرن السادس عشر الميلادى ، وكانت وما تزال أوجع سخرية من عجز الإنسان وغروره الباطل : ماذا أعرف أو ماذا يمكننى أن أعرف ؟ ...

لا عجب إذن أن نجد هذا الكاتب يعترف فى مقال مهم سبق تأليفه للمسرحيتين التاليتين وعبر فيه عن رؤيته التى استخلصها من تجاربه

ومحاولاته المختلفة فى التأليف لمسرح العرائس والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية والعروض والألعاب الدرامية المتنوعة ، وهو المقال الذى جعل عنوانه : خشبة المسرح هى المكان المطلق (١٩٦٢) : « المسرح فى نظرى نوع من التجربة » أنه المحاولة الدائبة لعرض الإنسان وإظهاره على خشبة المسرح ، الإنسان الذى يحيا الآن بكل ما يحركه ويقلقه ، وبكل ما يعمله وينتجه وما يقيده كذلك ويحدده . والأدوات التى أتوسل بها فى سبيل ذلك قديمة قدم المسرح ذاته : فهى استخدام القناع ، والخلط (الناتج عن سوء الفهم) ، وإبراز المظاهر المنعكسة ، وأسلوب المسرح فى المسرح . وهى جميعا تستغل لإظهار وجود الممثل على خشبة المسرح فى صورة رائعة ومثيرة للتساؤل فى الوقت نفسه ، وبذلك نتمكن من وضع أنفسنا – لأننا مشاركون كذلك فى التجربة – ووضع أحكامنا وقيمنا ومعاييرنا الاجتماعية وأخلاقنا موضع التساؤل » .. هذه العبارات أو بالأحرى الاعترافات القصيرة تكشف لنا عن الموقف المبدئى لهذا الكاتب من الواقع الشامل ، وهو فى صميمه موقف يعبر عن علاقته الدرامية أو « التمثيلية » به ، ويسرى مسرى الدم فى شرايين أعماله وأوردتها ، ويؤكد نزعتها النقدية الساخرة من روح العصر ، ومن البرجوازى الأوربى أو إنسان الطبقة الوسطى المتزمت الضيق الأفق الذى لا يكاد يشغله شئ فى حياته بقدر ما يشغله « الإنجاز » و «التملك» ، كما يبين محاولاته المستمرة فى تسليط الضوء على الحقيقة الإنسانية العارية البسيطة ، حقيقة الإنسان العادى أو « الإنسان الصغير » الذى كان على الدوام هو المحرك الفاعل للتاريخ والضحية الأولى والأخيرة له وللطغاة والمستبدين الكبار والصغار الذين تحكموا وما زالوا يتحكمون فيه .. من هنا كان همه الدائم هو تقديم الدراما الإنسانية – لا التاريخية أو الوثائقية ! – على خشبة مسرح إنسانى أو عالمى شامل ، فى عرض أو استعراض تمثيلى يمتع المشاهد العادى

ويدهشه ، وربما ينجح أيضا فى تغييره أو على الأقل فى البقاء فى ذاكرته ووعيه مدى الحياة ، لا سيما إذا نجح كما قلنا فى الكشف عن الحقيقة البشرية العارية من كل غطاء أيديولوجى أو فلسفى أو أخلاقى زاعق ، وفى دعوة هذا الإنسان إلى معرفة دوره والقيام به لإنقاذ الأرض – التى تندحر وتنحدر إلى حضيض الهاوية دون أن ننتبه لذلك ! وحثه على المشاركة فى إيقاف الكارثة التى يندفع إليها التاريخ ، وتهدد بتدمير الحياة وتخريب الإنسان بعد تجويعه وتعذيبه بفظاعة ووحشية دونها فظاعة الوحوش ...

* * * * *

ولد تانكريد دورست – مؤلف المسرحيتين التاليتين اللتين ترجع إحداهما لفترة مبكرة من حياته (١٩٦١) والأخرى لما قبل سنوات قليلة (١٩٩٢) – فى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٥ فى بلدة « أوبرلند » القريبة من مدينة « زونيبرج » بولاية تورنجن لأسرة يشتغل عائلها بالهندسة وصناعة الآلات . وقد توفى أبوه وهو فى السادسة من عمره ، ولم يكد يتم تعليمه الأولى والثانوى فى موطنه الأصلى حتى استدعى فى عام ١٩٤٢ – وهو بعد فى السادسة عشرة من عمره – للانخراط فى الجيش ، وعانى من أهوال الحرب العالمية الثانية التى كانت على أشدها فى ذلك الحين ، وتعلم الخشونة والصرامة والطاعة وروح العمل الجماعى ، كما تعلم كيف ينظر إلى الواقع المحيط به نظرة المراقب الذي يشك فى كل شئ ويسخر من كل طموح وهمى فاسد ، حتى وصل إلى الاقتناع ببطلان كل المشروعات العالمية الكبرى وهشاشتها (على نحو ما يعبر بعض أبطاله فى مسرحيته الفيلا – ١٩٨٠ – وهينريش أو آلام المخيلة – ١٩٨٥) وبعد أن تقلّب فى معسكرات الاعتقال فى بلجيكا وإنجلترا والولايات الأمريكية المتحدة حتى سنة ١٩٤٧ ، رجع إلى وطنه ، وحاول أن يستأنف دراسته فى بامبيرج ثم فى ميونخ ابتداء من سنة ١٩٥١ ، حيث أقبل على سماع المحاضرات

التى كانت تلقى هناك عن الأدب الألمانى وتاريخ الفن وعلوم المسرح . لكن ظروف حياته القاسية حالت دون إتمام دراسته ، فراح يبحث عن قوته فى أعمال مختلفة ومهن متنوعة أتاحت له الاقتراب من بسطاء الناس والتعرف على حياتهم وهمومهم اليومية : « كانت أحوالى فى السنوات الأولى بالغة السوء .. كنت أجلس فى حجرتي الضيقة الصغيرة فى حيٍّ شفابينج (وهو حي الفنانين المشهور فى مدينة ميونخ) وأكتب مسرحيات للعرائس لم تُدرّ علىّ أى إيراد يذكر . لم أستطع فى ذلك الحين أن أتصور كيف يمكن أن يكسب الإنسان شيئا من المال . ثم حصلت فى سنة ١٩٥٩ على جائزة من مسرح مدينة مانهايم الوطنى عن مشروع مسرحية كتبتها وهى « مجتمع فى الخريف » ؛ فبدأت أحوالى منذ ذلك الحين فى التحسن . »

ولابد من الانتباه إلى أهمية تلك الفترة التى قضاها دورست فى ميونيخ مع أوائل الخمسينات فى التأليف لمسرح العرائس الذى كان يعرف باسم اللعبة الصغيرة – وتأثيرها البالغ على حياته وإنتاجه وأسلوب كتابته المسرحية بوجه عام . فلا شك أن عمله فى ذلك المسرح الذى شارك فى تأسيسه وإدارته وإخراج تمثيلياته فيه ، قد كان له أعمق الأثر على اختياره لموضوعاته من الأساطير القديمة والحكايات الشعبية الشرقية والغربية ، والقصص والأمثولات والخرافات والحواديت التى تثير أحلام الأطفال الذين يتوجه إليهم كثيرا بخطابه ، كما يعلق عليهم أمله الوحيد فى إنقاذ كوكبنا البائس الصغير من أيدى السادة الكبار أصحاب المشروعات الضخمة ، وأمله فى تحقيق « اليوتوبيا » « (المدينة المثالية الفاضلة) التى ثبتت استحالتها وفشلها – كما سبق القول – ولم تعش حتى الآن وربما لن تعيش وتزدهر إلا فى خيال الأطفال والفلاسفة والأدباء ... والمهم من كل ذلك أن المسرحيات التجريبية الصغيرة التى كتبها دورست فى ذلك الحين مثل مسرحية « المنحنى » (١٩٦٠) التى

نقلها إلى العربية المرحوم الدكتور إبراهيم حمادة.ونشرها مع مسرحيات أخرى فى كتابه (أقنعة الملائكة) ومسرحية خطبة الإدانة – أو التشهير – الطويلة أمام سور المدينة (١٩٦١) التى تجدها فى هذا الكتاب ، ومسرحية القط ذى الحذاء أو كيف تُلْعَبُ اللعبة (١٩٦٣) أقول إن المهم من كل ذلك أن المسرحيات المذكورة قد تأثرت تأثرا مباشرا بكتابته لمسرح العرائس في تلك الحقبة القصيرة من حياته ، كما تغلغل تأثيرها أيضا بصورة غير مباشرة فى معظم ما كتبه حتى يومنا الحاضر .. وهذه المسرحيات التجريبية الساخرة التى ذكرناها تعبر عن تأثره بمسرح العبث أو اللا معقول من جهة ، وبالمسرح الملحمى وأساليبه المختلفة عند بريشت وبعض الكتاب الذين جاءوا بعده – مثل دورنمات وماكس فريش – من جهة أخرى ، كما أنها تستفيد من خبرته فى التأليف لمسرح العرائس والكتابة عنه (سر مسرح العرائس ١٩٥٧ ، ومحاولات عن مسرح العرائس ١٩٥٩) . والواقع أن الموضوعات التى طرقها فيها وعالجها بأشكال وتنويعات مختلفة ظلت تسيطر على بقية مسرحياته ، إذ نحس منها أن رؤيته للوجود ذات طابع تمثيلى ، كما نلمس محاولاته المستمرة لتقديم لعبة المسرح فى المسرح ، ونشاهد الكثير من الطقوس الخالية من أى معنى ، ونشعر باستحالة التواصل بين البشر الذين يضعون على وجوههم أقنعة لا يلبثون مع مرور الزمن أن يندمجوا فيها ويتحدوا بها بحيث يتعذر عليهم تمييز الوجه من القناع ، والدور الذى يؤدونه من الحياة الحقيقية التى يعيشونها ..

وفى عقدى الستينيات والسبعينيات تمرّس بالعمل فى دور النشر والكتابة للسينما والإذاعة المسموعة والمرئية ، وترجم عن الفرنسية بعض مسرحيات موليير والكاتب الأيرلندى سين أوكيزى ترجمة جديدة ، كما ترجم وأعد للمسرح رواية مفكر عصر التنوير وأديبه المشهور ديدرو وهى ابن اخت رامو (التى سبق أن ترجمها لأول مرة شاعر الألمان الأكبر

جوته) وقد قضي سنة ١٩٧٠ كاتبا مقيما فى كلية أوبرلين بولاية أوهيو بالولايات المتحدة الأمريكية ، كما قام سنة ١٩٧٣ بالتدريس فى بعض الجامعات فى أستراليا ونيوزيلاندا . وربما كانت هذه المرحلة من حياته وإنتاجه قد مهدت لاهتمامه بعد ذلك بالموضوعات التاريخية التى راح يعرضها من زاوية البحث الدائب عن الحقيقة ، حيث تناول حياة عدد من كبار الأدباء الغربيين الذين توهموا أن الأدب يمكن أن يصنع ثورة ، وأن الكلمة يمكن أن تكون فعلا أو تنوب عن الفعل ، وكذلك بعض الأدباء الذين أدينوا بتهمة التعاون مع النازيين وتلويث أقلامهم وأيديهم بوضعها فى الأيدى التى تلطخت بالدم والوحشية . ولم يكن هدفه من ذلك هو فضح تلك الشخصيات ولا الصراخ بآراء وأفكار صاخبة عن الحقيقة والحرية ، بل اكتشاف أعماقهم الإنسانية ، وإثبات فشل الأدب والفن كليهما عندما يتصوران فى نفسهما القدرة على حل مشكلات الواقع أو السيطرة عليها . ولعل أبرز الأمثلة على ذلك هى بعض مسرحياته التي جلبت له شهرة عالمية ، كمسرحية « عصر الجليد » عن واحد من أكبر أدباء النرويج وهو كنوت هامسون (١٨٥٩ - ١٩٥٢) صاحب رواية «الجوع» الشهيرة ، ويقدمه دورست من خلال أحد عشر مشهدا تدور فى دار استشفاء أو مصحة للعجزة المصابين بالأمراض العقلية والعصبية ، وتعرض علينا شخصية هذا العجوز العنيد الواثق بنفسه ، والمستمسك بنزعته العدوانية الشرسة نحو المجتمع والناس والجيل الجديد الذى لعنه وأدان وقوفه مع أعداء بلاده من وحوش النازية (وقد ظهرت المسرحية فى سلسلة المسرح العالمى الكويتية - العدد ١٨٨ - فى ترجمة عربية ممتازة مع مقدمة جيدة ووافية) . ونذكر فى هذا الصدد كذلك مسرحيته « تولر » (١٩٦٨) عن أديب الحركة التعبيرية الألمانية والثائر الخيالى المتحمس والمنفصم عن الواقع وهو إرنست تولر (١٨٩٣ - ١٩٣٩)

الذى كتب مسرحيات مثيرة عن زحف جحافل الآلات والجماهير ، وشارك في قيادة ثورة قصيرة العمر عرفت باسم « ثورة ميونيخ » ، وأسست ما سُمِّى باسم « جمهورية اللجان الاشتراكية » التى لم تبق على قَيْد الحياة سوى أسابيع قليلة ....

وتتألف المسرحية من لوحات ولقطات استعراضية من الأحداث التى وقعت بين إعلان قيام جمهورية اللجان الاشتراكية وسقوطها فى سنة ١٩١٩ . ولم يكن هدف « دورست » من هذه المسرحية – كما قلنا – هو التوثيق التاريخى ، بل كان هدفه هو عرض مشكلة الالتزام السياسى الذى ينخرط فيه المثقف والفنان المبدع فى موقف زمنى وتاريخى محدد ، فيتصور أنه قادر على إبداع الثورة كما أبدع أعماله الفنية ، وأن الثورة يمكن أن تصبح فعلا خلاقا كالفعل الابداعى سواء بسواء .. والواقع أن حماس « تولر » واندفاعه الثورى ينسيانه ضرورة تنظيم الثورة أو إدارتها . ويصور المؤلف « تولر » فى صورة ممثل « يلعب » الثورة ، بحيث تصبح هذه الثورة نوعاً من الأدب ، ويحل الانفعال الأدبى محل التنظيم العملى ، وتعجز الشعارات الأخلاقية والطموحات المثالية عن حماية الثورة من أعدائها الذين هزموها واعتقلوا وأعدموا أعضاء لجنتها الذين كان معظمهم من الأدباء الذين لا يكفون عن الثرثرة والمناقشات والمحاورات وكأنهم فى مهزلة دموية ! والمهم أننا نخرج من هذا العرض المسرحى بأن الثورة التى يصممها الأديب لابد أن تنتهى بأن تكون هى الأخرى أدبا لا صلة له بالواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى يحياه الناس ...

وقد اشترك « دورست » فى هذه الفترة من حياته مع المخرج المسرحى الشهير بيتر زاديك فى إنتاج سيناريوهات أفلام ومسرحيات متنوعة تتناول الأزمات الاجتماعية وعجز المثقفين وتناقضاتهم فى التعامل

معها ، مثل الاغتيال الأحمر أو كنت ألمانيا (١٩٦٩) ، ورمل (١٩٧١) وعصر الجليد (١٩٧٣) وجونكورا وإلغاء الموت ١٩٧٧ » ، وهو يعمد فيها جميعا إلى إثارة المتفرج بدلا من وعظه ، وذلك مع افتراض نضج هذا المتفرج وقدرته على تحمل مسئولياته الأخلاقية . وقد تبعت ذلك سيناريوهات أفلام سينمائية وتليفزيونية متعددة منها دور وتيا ميرتس (١٩٧٦) ، وأم كلارا (١٩٧٨) وموش (١٩٨٠) بالإضافة إلى مسرحياته الألمانية التى يتناول فيها علاقته التمثيلية بالتاريخ المعاصر من خلال قصة حياته وحياة عائلته وموقفه النقدى من الواقع الاجتماعي فى ألمانيا منذ عهد جمهورية فَيْمار فى العشرينيات حتى أوائل السبعينيات من القرن العشرين ، مثل فوق الشيباروزو (١٩٧٤) والفيلا (١٩٨٠) وهينريش أو آلام المخيِّلة (١٩٨٠) . وأخيرا نذكر السيناريو الذى كتبه بعنوان « البستان المحرم » (١٩٨٣) عن شاعر إيطاليا الكبير جابرييل دانونتزيو (١٨٦٣ - ١٩٣٨) الذى اتهم بوضع يده فى أيدى الفاشيين، كما كان آخر دعاة البطولة والقوة والنشوة بالعنف والرعب سبيلا للانتصار المزعوم على الركود والضعف والموت ، وتحقيق « الخلود » الوهمي عن طريق عبادة الشعر والجمال اللذين يضيفان - فى نظر ذلك الشاعر الكبير المعتوه - غلالتهما السحرية المسمومة حول جسد الواقع والإنسان العادى والحقيقة العارية المباشرة والبسيطة ... وتذكر فى هذا السياق أيضا مسرحيته الشعبية التى تلجأ لأسلوب العرض أو الاستعراض الغنائى والموسيقى فى مناظر متتالية تشبه لقطات حية منتزعة من واقع الأحوال المعيشية البائسة خلال الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى اجتاحت أوربا فى الثلاثينيات وسبقت استيلاء النازيين على السلطة فى سنة ١٩٣٣ . والمسرحية التى نقصدها وهى « أيها الإنسان الصغير ، ما العمل الآن ؟ » مأخوذة مع عنوانها نفسه من رواية حققت شهرة واسعة فى تلك السنوات العجاف للأديب الواقعى

هـانز فالادا (١٨٩٣ - ١٩٤٧) الذى كتبها فى سنة ١٩٣٢ ، وظلت هى تاج إنتاجه الروائى الذى يكاد يدور حول موضوع واحد هو هموم الرجل العادى ومتاعبه وسط عالم يسحقه ويحبطه كل يوم ، ولكنه لا يستسلم أبدا لهذا الإحباط ، بل يفتح لنفسه فتحة فى جدار الواقع المظلم الصلب لينفذ منه ويرتفع فوقه ولو بأجنحة الحلم والخيال . وقد عرض فيها دورست - على طريقة الكباريه أو الجريدة الغنائية والموسيقية - مشاهد ولوحات شديدة التنوع عن ألوان العذاب والضياع والمهانة التى يلقاها زوجان شابان ربط بينهما الحب الحقيقى وحاول عبثا حراس الحصار المطبق عليهما من ذئاب المال والأعمال أن يستغلوا جمال الزوجة وفقر الزوج فى تمريغهما فى الوحل وتلطيخهما بالعار ، ولكن الزوجين المحبين يفضلان فى آخر المطاف أن ينهيا مأساة جحيمهما الأرضى بالموت الإرادى - وربما غير الإرادى بسبب الجوع والإرهاق !- فيرتفعان معا كحمامتين حزينتين وغاضبتين إلى رحاب فردوس سماوى يعوضهما عن ظلم الأرض وبشاعة أهلها وخراب ذممهم ونظامهم الاجتماعى والسياسى الذى لم يستطع أن يوفر لهما الكفاف من خبز العدل والرحمة ...

والظاهر أن هذه الإعدادات السينمائية والاستعراضية المتنوعة لم تستطع أن تشبع طموحه لإنجاز عمل مسرحى كبير يضع فيه خبرته الطويلة وحنينه الدائم لأجواء الحكاية الشعبية وميله المستمر لمزج الماضى بالحاضر والخرافة بالواقع فى لوحات متتالية تحمل انتقاداته للحياة الاجتماعية والنفسية التى يكابدها الناس على أرض الواقع . ولهذا تجده يتجه فى سنة ١٩٨١ إلى كتابة عمل شامل استوحى مادته من الحكايات المشهورة فى العصر الوسيط - القرن الثانى عشر الميلادى - عن الملك آرتوس وفرسان المائدة المستديرة ، وهذا العمل الشامل هو مسرحيته الطويلة « ميرلين أو الأرض الخراب » - التى تتألف من سبعة وتسعين منظرا يستغرق عرضها ما يقرب من عشر ساعات فى ليلتين

متتاليتين ! – تدور حول موضوع أثير لدى المثقفين الساخطين منذ أفلاطون على أقل تقدير على واقعهم المتردى ، كما أثارته الأحداث الأخيرة بعد السقوط المدوى للتطبيق الاشتراكى فى الاتحاد السوفيتى السابق والدول التى كانت تدور فى فلكه ، وهو موضوع فشل اليوتوبيات (أو المدن المثالية الفاضلة) .. فالساحر ميرلين الذى كان مولده ثمرة الزواج العجيب لشيطان من عذراء ، يكلفه أبوه بأن ينزع من قلوب البشر الخوف من الشر . ولكن ميرلين يرفض القيام بهذه المهمة ، ويصمم على تجاربه مع الخير الكامن فى نفوس البشر ، وينجح فى إقناع الملك أرتوس بجمع أبطال العصر وفرسانه حول مائدته ليقيموا النظام العادل فى هذا العالم . غير أن صراعات الحقد والحسد القاتلة سرعان ما تدب بين فرسان المائدة المستديرة ، ويكتشف ميرلين أنه يقف على أرض خراب (إيماءً لقصيدة إليوت المشهورة) اختفى منها كل أمل فى العدل والخير ، وكل رجاء فى تحقيق اليوتوبيا على هذه الأرض ، كما يكتشف فى النهاية أنه حقق رغبة أبيه دون أن يدرى . ويودع ميرلين التاريخ البشرى كله بعد أن تأكد من غباء أبطاله وفرسانه الجوف : « لقد سئمت منهم جميعا ! لا أريد أن أرى أى واحد منهم ! لا الأخلاقى ولا الاشتراكى ولا الرأسمالى ولا البنيوى ! وتساعده حورية الغاب فيفيانه على أن ينفى نفسه بنفسه فى دغل شوكى كثيف يلوذ فيه بسكون الطبيعة وسكينتها الأبدية من فظائع التاريخ البشرى ، بينما يستمر الصراع خارج الدغل ، وترجع الآلهة الوثنية إلى حلبة القتال بعد أن طردها السيد المسيح فى بداية المسرحية ...

وفى النهاية نذكر فيلمه السينمائى « هانز الحديدى (١٩٨٣) الذى يدور حول عجز الناس ويأسهم فى إحدى المدن الصغيرة على الحدود مع ألمانيا الشرقية السابقة ، وكذلك « أنا فويرباخ » الذى يصور عجز الفنان

وسقوطه ضحية تناقضاته الذاتية التى تصطدم مع تناقضات مجتمع يفترسه القلق والإحساس العام بالرعب والخراب وطغيان الشر عليه إلى حد اليأس من إمكان الخلاص . وفى هذا الخط أيضا تدور مسرحية كوربيس (١٩٨٨) التى اعتمد فيها على إحدى الحكايات الشعبية القديمة .. بقى أن نقول إنه يعيش ويعمل منذ أوائل السبعينيات مع الكاتبة والمترجمة أورزولا ايلر التى شاركته فى كتابة عدد كبير من أعماله ، ومنها إحدى المسرحيتين التاليتين ...

* * * * *

ونأتى الآن إلى المسرحيتين أو بالأحرى اللعبتين المسرحيتين اللتين نقدمهما فى هذا الكتاب ، راجين أن نتمكن من النظر فيهما على ضوء المعلومات السابقة عـن حيـاة مؤلفهما وأعماله . ونبدأ بالمسرحية الأولى التى وضع لها عنوانا مثيرا وغير عادى فى طوله : « خطبة الإدانة (أو التشهير) الطويلة أمام سور المدينة ..

ما إن ترفع الستارة عن المنظر الوحيد الممتدّ إلى نهاية المسرحية حتى نرى ونسمع امرأة صينية شابة وجميلة وفقيرة تقف أمام سور المدينة وتطلق استغاثتها المستميتة بالقيصر : أيها القيصر ، أيها القيصر ، وربما تصورنا – بمعلوماتنا القليلة عن الصين الغامضة البعيدة ! – أن السور الذى يواجه المرأة ويواجهنا يمثل جزءا من سور الصين العظيم الذى لم يبن من أحجار فحسب ، بل من عادات وتقاليد وقيم وأخلاق تجمدت بمرور الزمن فصارت بدورها حجارة ثقيلة .. وقد نتخيل كذلك منذ البداية أن هذا السور يوحى بمعنى مجازى يدل على كل الأسوار التى تقف عقبة أمام الفقراء والمظلومين والمحرومين من أبسط حقوق الإنسان العادى فى شئ من الحرية والعدل والأمن والسعادة . ويتكرر هتاف المرأة باسم القيصر وسخرية الجنود والضباط الذين يتولون حراسته . ونفهم بالتدريج أن هذه الشجرة البشرية الخضراء

المنضرة بالفتنة والصحة والرغبة فى الحياة الطبيعية البسيطة تجأر بالشكوى لأب العائلة الصينية الكبرى من الغربان التى تريد أن تعشش على فروعها ، ومن الثعابين التى تحاول أن تتسلقها وتنهش لحمها الأخضر . لقد غاب زوجها عنها وطالت غيبته فتعرضت للوحوش الخبيثة المراوغة ، وعلى القيصر الذى أخذه جنوده منها عنوة أن يرده إليها لتحمى نفسها من الفتنة والغواية ، ولتحيا فى الحلال - كما نقول فى إطار ثقافتنا الدينية - مع زوجها الشرعى الذى نفهم أيضا أنه كان مجرد صياد سمك خامل وخائن وفاشل ، ولم يكن أبدا هو الزوج المثالى لامرأة فى مثل قوتها وفتنتها وحرصها على الحياة النظيفة الشريفة ..

ونحس أيضا منذ البداية أن الزوجة « فان شين تنج » تشعر بنوع من اليقين الداخلى بأن زوجها « هسوى لى » قد مات فى الحرب التى يخوضها القيصر الصينى جريا وراء أوهام المجد والبطولة والقوة والتوسع ، وأنها قد صممت على أن تأخذ زوجا آخر يعوضها عن الزوج المفقود مهما كان الثمن ، ومهما تعرضت للامتحان العسير لدى صدقها فى الزعم بأن الجندى الذى أشارت إليه من بين الجنود الذين يمرون أمامها من فوق السور هو نفسه زوجها الذى ذاقت معه من المر أكثر بكثير من الحلو .. وقد اشترط القيصر نفسه أن تدخل هذا الامتحان العسير قبل أن يسمح لها بالانصراف مع الزوج المزعوم ، وأن تظل رماح الجنود مصوبة نحو زوجها إذا ثبت فشله فى أداء دوره وعجز عن إثبات مصداقيته . أما الامتحان نفسه فيفرض عليها أن تدخل بكل قوة وحسم فى لعبة المسرح فى المسرح التى تجعلها تستعرض مشاهد مختلفة من حياتها وتجاربها مع ذلك الزوج البديل الذى اختارته وراحت تدفعه باستمرار لأداء الدور وتصحح أخطاءه الجسيمة التى يقع فيها

بحكم غبائه وعجزه الشديد عن مجاراة تلك الأنثى الطاغية التى وقفت منه موقف الملقن من ممثل ضيق الأفق بطئ التفكير ... بالإضافة إلى جبنه وكذبه !

وتتوالى أمامنا عروض التمثيل لمشاهد من حياة هذه المرأة الشابة الوحيدة ، زوجة الجندى السابق التى تكلم الجدران وتهتف فى الريح ، ومع ذلك تبحث عن الخروج من التمثيل بأى زوج ؛ لأنها تعرف فضائل الأسرة وتحرص على القيام بواجبات الزوجة .. ويشارك فى التمثيل ، أو بالأحرى يُستَدرج إليه ، اثنان من أصحاب السعادة وحضرات الضباط ، فيؤدى أحدهما مرة دور قاضى القرية الذى تخونه زوجته من وراء ظهره مع زوج المرأة ، ويؤدى الآخر دور تاجر الزيت الذى يطمع فيها ويستغل جوعها وفقرها وجمالها ووحدتها ليعرض عليها الزيت بسعر رخيص مقابل الانفراد بها فى كوخها الصغير الخالى . بل إن القيصر نفسه يشارك من بعيد فى اللعبة بإصدار أوامره وتسلية نفسه بالتفرج على لعبة هذه الفلاحة الفصيحة الداهية ، والظهور من حين إلى حين من فوق السور متدثرا بالقشور الذهبية التى تغطيه من رأسه إلى كعب قدميه ، وكأنه سمكة عظيمة تلمع فى شمس الصباح ...

ومع التدخل المستمر للضابط السمين والضابط النحيف فى مجرى العرض وفى سياق الحوار بين الزوجة المحرومة والزوج البديل الخائب ، ومع إدراك الضابطين اللذين يراقبانهما أن هذا الزوج مرتبك وبليد ، وأن معظم الكلام والفعل يتدفق من الزوجة التى تحاول إصلاح ما يفسده وإكمال التمثيل بأى ثمن ، تتابع المشاهد القصيرة من الحياة الماضية البائسة واحدا بعد الآخر : تعرف الزوجين على بعضهما عند النبع ومساعدة زوج المستقبل لها فى حمل الجرة أثناء سيرهما معا إلى بيت القاضى الذى تعمل فيه خادمة ، اكتشاف الزوجة أن زوج المستقبل على

علاقة خفية بزوجة القاضى الذى غادر البلدة على حماره لكى يقيم العدل بين الناس بينما الظلم والشر يجوسان فى بيته ويعبثان بشرفه وسمعته ، رجوع القاضى إلى بيته مسرعا بعد أن سمع الإشاعات المريبة وكيف تدخلت لإنقاذ زوج المستقبل المخادع من الشنق وتسترت على الفضيحة رغم كل شئ ، مشاهد من حياة الزوجين « الشرعيين » التى استمر شقاؤها أربع سنوات فى كوخها الفقير على شاطئ النهر ؛ حيث لا تطمع فان شين – تونج فى أكثر من الحياة فى سلام مع زوجها ، بينما يحلم هو بالانطلاق إلى مدن العالم فرارا من عش الزوجية الضيق الخانق .. فشل الزوج المزيف فى البقاء مع زوجته على سطح كوخهما وفى إبداء ذرة واحدة من الصبر على محنة الفيضان الذى أغرق كل شئ حولهما وتصميمه على الهرب منها ، بل اعترافه المفاجئ بأنه لم يكن زوجها فى يوم من الأيام ، تدخل الزوجة مرة أخرى لإنقاذ العرض الذى أوشك على التوقف واعتذارها بقلق زوجها وبحرصها على المحافظة عليه رغم كل تصرفاته ، نزول الرجال الذين يجمعون المتطوعين للحرب إلى القرية ونجاحهم فى أخذه معهم برغم اختفائه فى أحراش الغاب طوال الصيف وتصنته من موقعه على المحاولات الفاشلة لتاجر الزيت الأصلع الدنئ لاستغلال فقر زوجته بإقراضها بعض العملات النحاسية أو مساومتها على تأجيل سداد ثمن الزيت إكراما للطفها وفتنتها ونجاحها مع ذلك فى المحافظة على شرفها وسمعتها وبيتها رغم غياب الزوج ، مغالبتها لدموعها واستمرارها فى تمثيل دورها برغم إحضار الجنود للتميمة المعدنية التى عثروا عليها مع جثة زوجها الحقيقى وإنكارها لمعرفة ذلك الميت حتى تخرج من اللعبة ومعها زوج يسترها ، عودة الزوج المزيف للاعتراف بأنه كان مع الزوج الحقيقى عندما أرداه سهم نفذ فى عينه ثم تراجعه عن اعترافه رعبا من المصير الذى ينتظره وانخراطه بعد ذلك فى الدور الذى لم يتقن تمثيله ، تهور الزوج الذى يطعن تاجر الزيت انتقاما

لما تصور أنه شرفه المطعون ثم هروبه من الجنود الذين جاؤوا للقبض عليه وهروبه النهائي من خلف السور بعد اقتناعه بفشله فى تمثيل دور الزوج الحقيقى واقتناع الضابطين أيضا بفشل الزوجة فى مداراة غباء البديل برغم كل براعتها فى تمثيل دورها والتدخل المتواصل لإنقاذ اللعبة اليائسة ، وأخيرا تأتى محاولة الزوجة للاستغاثة بالقيصر الذى انصرف من ساحة الملعب بعد أن استمتع بالفرجة ... ولذلك لم يبق أمامها إلا أن تخمش السور الأخرس الكثيف - كالذئبة الجائعة الجريحة - بأظافر صرخاتها اليائسة من إمكان تحقيق العدالة عل الأرض ، ومن استحالة الحد الأدنى من السعادة والأمان للإنسان الصغير الذى تحوطه الأسوار من كل جانب .. وهكذا تتدافع لعناتها المحبطة الغاضبة على القيصر وزبانيته وطموحاته ومشروعاته ، وعلى كل الأخلاق والأفكار والقيم والتقاليد التى شاركت فى إقامتها وتدعيمها منذ أن كان سادة وعبيد ، وحكام ومحكومون ، وأغنياء وفقراء ، ومضطهدون مظلومون مستغلون يقاسون الأمرين من كل مضطهد ومستغل وظالم ، فى خطبة طويلة يختتم بها العرض ، وتنتهى معها اللعبة التى لم تزل مستمرة بأشكال أخرى أخبث وأدهى مما كانت عليه فى زمن قديم فى الصين القديمة ..

وينزل الستار على لعبة المسرح فى المسرح ، بينما يتردد صراخ المرأة المسكينة التى جربت كل ذكائها الفطرى فى اقتناص نصيبها القليل من العدل والاستقرار ثم فشلت فى التجربة ... وتتوغل صيحات المرأة المحتجة فى ضمائرنا وتسرى فى دمائنا مسرى الرصاصات العنقودية التى تتفجر فيها وتفجر معها كل ما توهمناه من إمكان الراحة أو الطمأنينة فى عالمنا المدنى الذى تطوقه أسوار الظلم والوحشية وقسوة الإنسان على أخيه الإنسان ... وتتحول الخطبة إلى دعوى اتهام طويلة لكل المسئولين عن عذاب الإنسان العادى أو الإنسان الصغير عبر جميع العصور وفى ظل مختلف النظم والمدن والمجتمعات والحضارات ، وداخل

كل الأسوار المادية أو الأسوار العقلية والقانونية والأخلاقية والروحية : « أنتم يامن فوق السور ! أيها المطرزون بالذهب - ياأصحاب القوانين الجميلة والأخلاق الجميلة - لم لا تفسرون لي السبب في انتشار العفن الفظيع في العالم كله ؟ ... وأنت أيها السور ! أيها السور السميك ! ابتعد ! ابتعد ! أيها السور السميك العظيم القديم الغبي - أنا فان شين تينج أقف هنا تحتك ... سأظل ألطمك برأسي حتى تتهدم ... إنني أكرهك . أبصق عليك أضحك عليك . ألعنك . أنا أنا أنا أنا ... »

ويدخل أحد الجنود المكلَّفين بالحراسة ووجهه - كوجهي الضابطين اللذين انصرفا ضاحكين - مغطى بقناع . وتكتشف أنه هو نفسه ذلك الرجل الذي حاول أن ينتهز الفرصة ويستمتع بالهروب من قهر السلطة مع امرأة جميلة سعت إليه بقدميها ، كما حاول عبثا أن يتقمص دور الزوج الغائب إلى الأبد ، ثم لم يلبث أن رجع إلى جموده وبروده وانضم مرة أخرى إلى جماعة السور ليعود حجرا من أحجاره الغليظة ، ويضع رقبته في النير الذي أعدته له وللجميع ... ذلك أن أخلاق بناة ذلك السور، وغيره من الأسوار عبر العصور ، قد استلبته ووضعته في قوالب قيمها وتقاليدها « وأيديولوجياتها » الجاهزة على الدوام . وإذا كان قد خرج لفترة قصيرة من هذه القوالب في محاولة لاسترداد هويته الإنسانية ، فقد فشل في أداء الدور ، وتنكب الحقيقة البسيطة من طول ما تغذى على الكذب المصنوع ، ووجد نفسه مضطرا للدخول من جديد في القالب أو التابوت الذي احتواه ولم يزل يحتوينا جميعا بدرجات وأشكال مختلفة . وفي النهاية يمدُّ الرجل المقنع حربته ويلكز بها الشخصية الوحيدة التي لم تضع على وجهها أي قناع وهو ينهرها قائلا : « اذهبي ! لن يسمعك أحد ! » - وتقشعر المرأة فزعاً وتحدق فيه صامتة ، ونقشعر

نحن أيضا من رعب الأسوار الظاهرية والخفية . وربما خرجنا من اللعبة المرة وبين جوانحنا شئ من العزم - أو حتى النية الطيبة ! - على تحطيم الأسوار ، كل الأسوار ...

* * * * *

إذا كانت المسرحية السابقة - التى ترجع ، كما قلت ، لفترة مبكرة من إنتاج دورست (١٩٦١) - قد سلطت الضوء على الحقيقة العارية البسيطة للإنسان العادى أو « الإنسان الصغير » الذى يطالب بمكان أمن ونظيف تحت الشمس ، فإن هذه المسرحية المتأخرة (١٩٩٢) قد خاطرت بوضع هذا العنوان الفرعى تحت اسمها : « محاولة للكشف عن الحقيقة . » ويتبادر إلى أذهاننا السؤال المركب من أسئلة لا حصر لها : ما هو تصور المؤلف للحقيقة ؟ وما الذى فهمه من أبعادها وزواياها الكثيرة كثرة حيرت الفلاسفة والمناطقة والعلماء والأدباء على مر العصور ؟ وما نوع الحقيقة التى يبحث عنها ، وما الفرق بينها وبين الواقع بالنسبة لكاتب يؤكد أنه واقعى ؟ ..

لنؤجل النظر فى هذه الأسئلة العويصة - التى تفتح الأبواب لتفسيرات واحتمالات وافتراضات لا آخر لها ! - حتى نفرغ من إلقاء نظرات أخرى سريعة على هذه اللعبة المسرحية الجديدة والشخصيات المشتركة فيها سواء أكانوا ضحايا أم جلادين ...

واللعبة التمثيلية تدور حل شخصية رجل مستبد بقوته وثروته يصمم على الزواج من امرأة فاتنة الجمال وينفذ بسطوته وجبروته ما قد صمم عليه . وتتم الزيجة وتتطور بصورة غريبة . فرجل الأعمال الموضوعى البارد لا يكترث كثيرا بزوجته ، بل يضن عليها من أول المسرحية إلى آخرها بالعبارة الوحيدة التى كان من الممكن أن تجعل للزواج معنى ، وهى أنه يحبها . وتميل الزوجة الحساسة إلى الذوق المثقف الحساس مثلها تجد عنده مايستحيل أن تجده عند الزوج العملى الذى اشتراها

بماله وتصور أنه ضمها إلى أملاكه وأشيائه التى يتحكم فيها كما يشاء . وتعترف الزوجة فى لحظة كبرياء بأنها تعشق الدوق ، وأنها فعلتها معه مرات عديدة لا مرة واحدة . ويجن جنون فرناندو كراب الواقعى العاقل فيدبر خطته الشيطانية التى تودى بجوليا إلى الجنون ثم إلى الموت البطئ أو الانتحار الصامت . لقد نجح الرجل فى « استلاب » زوجته أو « تشييئها » كما يعبر فلاسفة الاغتراب ، ولكنه انجرف دون أن يدرى أو يقدر إلى داخل الدوامة المسرحية التى اصطنعها بنفسه وأحكم نسج خيوطها الأخطبوطية الشريرة . وفى المشهد الأخير نفاجأ بالجلاد وقد صار هو الضحية ، إذ يتفجر شلال الاعتراف بحبه للزوجة المحتضرة مكتسحاً كل السدود والأغلال التى حبسه وراءها ، وتتدافع الدموع والصرخات بعد فوات الأوان لنكتشف من شظايا مراياها المهشمة كيف تجاهل وخان أقرب الحقائق إلى الإنسان ، وهى حقيقة قلبه ...

أما شخصية جوليا فهى أكثر تركيبا وتعقيدا وأبعد ماتكون عن شخصية زوجها ذى البعد الواحد ... إنها تقبل منذ البداية أن تكون سلعة تشترى وتباع فى سوق الزواج رحمة بأبيها الذى هددها بأن يشنق نفسه إن لم توافق على العرض المغرى . وبالرغم من ثورتها الغاضبة فى البداية ، ومن ثوراتها اللاحقة فى وجه الغرور والخيانة والقسوة والجبروت والتهديد التى تبرز كالقسمات الواضحة المحفورة على وجه زوجها ، فإنها تبقى حتى النهاية شيئا جميلا عاجزا عن إثبات ذاته أو حتى الانتقام لكرامته المهانة (إزاء فحش زوجها مع إحدى الخادمات فى مزرعته وتباهيه بذلك وكأنه شئ عادى من الحياة العادية لرجل فى مثل قوته وتسلطه وغناه .) وهى تتمنى أن يقول لها مرة واحدة إنه يحبها – كما فى المشهدين الثانى والرابع عشر والأخير – كما تحاول سدًى أن تعرفه أوتعرف شيئا عن طفولته وشبابه ، بل تتمنى لو شعر مرة واحدة بالغيرة عليها فانفعل وانتقم بسببها (المشهد السادس) :

- المهم أنك ضربته بسببى ،

- بسببك ؟ شئ مضحك .

وتحاول كذلك عبثا أن تعرف حقيقة مشاعره نحوها فتواجه بمخلوق فظ مجرد من كل عاطفة (المشهد السابع والمشهد الرابع عشر) :

- ولكن هل تعتقد أنى أحبك ؟

- ليست المسألة مسألة اعتقاد - هذا هو الواقع !

وحتى عندما تنفجر في اعتراف كاذب ومتعمد بأنها تعشق الدوق وتخون زوجها معه ، فإن رده الوحيد عليها هو الانفجار فى الضحك . وحين تؤكد له أنها خانته بالفعل وتسأله إن كان سينتقم لنفسه بقتلها أو خنقها - كما سبق له أن خنق زوجته المكسيكية الأولى - لا يكون رده إلا ببركان الضحك المخيف (المشهد السابع) وبعباراته القاطعة كحد السيف بأن ذلك ليس صحيحا كما أن إشاعة قتله للمليونيرة العجوز ليست صحيحة كذلك . وبعد قليل يؤكد أن بيته ليس مسرحا ، وأنهما لا يمثلان مسرحية ، وذلك فى نفس الوقت الذى يدبر فيه مسرحيته الشيطانية التى يثبت بها جنون زوجته ، ويشترى الدوق الحساس ، ويفتعل لعبة الطبيبين المعالجين ثم يمعن فى اللعبة الجهنمية كأنه ساحر أو منوم مغناطيسى يتحكم فى الوسيط ويأمره فيستجيب حتى لما يستحيل فيه الأمر وتتعذر الاستجابة . لقد نجح السينارست أو المدبر لعملية « غسيل المخ » فى أن يوقع فى وهمها - إلى حد الاقتناع المؤكد ! - بأنها تحبه ، وبأن اعترافها السابق بحبها للدوق المسكين لم يكن إلا زلة لسان أو نوبة جنون محموم تستحق الاعتذار عنها وطلب الصفح من الحبيب الرومانسى الخائب ... وتتكشف النتيجة عن الذروة التى نلقاها فى المشاهد الأخيرة : فالحب الكاذب المفروض عليها لا ينجح إلا فى تدميرها خطوة فخطوة ، والتنكر للذات أو للقلب أو للحقيقة

لا يؤدى بالزهرة الناضرة المتلألئة إلا إلى الذبول والانطفاء . وعندما يحمل فرناندو كراب الجسد الواهن الخفيف خفة الرماد وهو يصرخ بحبه ويؤكد فى الوقت نفسه أنه لن يسمح بالتنازل عما يملكه حتى للموت ذاته .. ، عندها يكون الحكم العادل بالانتقام العادل قد سقط على رأسهما معا ، فتلفظ الجميلة أنفاسها الأخيرة ، ويكفر المستبد الفظ والنرجسى الصادى - الذى طالما ردد كلمة أنا الملعونة ! - عن تنكره للحقيقة بقطع شريان يده وسقوطه جثة هامدة إلى جوارها ...

* * * * *

ونعود للسؤال أو الأسئلة التى سقناها فى بداية الحديث عن هذه اللعبة المسرحية الدامية : ما هى الحقيقة التى يحاول الكاتب أن يكشف عنها ؟ وأى بعد من أبعادها الكثيرة يريد أن يسلط عليه الضوء ؟ هل استطاع أن يقربنا من تلك الحقيقة العارية البسيطة - التى وصفناها بأنها هى حقيقة القلب الإنسانى النابض بالحب الحقيقى - أم تملصت منه هذه الحقيقة فاحتجبت وتخفت مثل حقيقة الوجود التى زعم الفيلسوف هيدجر (١٨٨٩ - ١٩٧٦) أنها تتأبى علينا وتظل غائبة عنا ، وكلما تصورنا أننا اهتدينا إليها ضاعت منا فى الحقائق الجزئية للموجودات والمجالات الجزئية ، ولم يتجل للعين البصيرة ولا للأذن المصغية إلا بصيص خافت من نورها الأصلى فى كلمات الشعراء العظام وألحان الموسيقيين الكبار وأعمال المبدعين ؟ ...

أغلب ظنى أن الكاتب لم يقصد إلى شئ من هذه المعانى الفلسفية ولم يكن فى حاجة إلى ذلك (على الرغم من إمكان التسليم بوجود ظلال من هذه المعانى الكامنة فى كتاباته من خلال قراءاته الواسعة) .

ولعله كذلك لم يقصد إلى أى تعميم نظرى يمكن أن نقع فيه بسهولة حين نتصور أن فرناندو كراب هو نموذج للشخصية الأوروبية التى تحاول على مدى أربعة قرون منذ عصرى النهضة والتنوير وحتى اليوم أن

تهيمن على كل شئ في الطبيعة والإنسان وتغزوه وتتملكه . وحتى الدلالات الضمنية الممكنة لشخصية رجل الأعمال المتجبر على شخصية البرجوازى الأوربى المتزمت والمتغطرس بقدرته على امتلاك كل شئ وإنجاز كل فعل وإخضاع أى حقيقة - بل الحقيقة نفسها ! - لسيطرته ، يمكن أن تكون مجرد تكهنات تفسيرية نلجأ إليها أو يلجأ سوانا إلى غيرها حسب ثقافته وذوقه وأسلوب قراءته للنصوص . على أن الشئ الذى يمكننى قوله وأستند فيه إلى الشعور قبل كل شئ هو أن هذه اللعبة المسرحية تريد - كما أرادت اللعبة السابقة ! - أن تنبهنا إلى حقيقة غاية فى البساطة ، وهى أننا نحن البشر - سواء فى الغرب المتقدم المغرور بعلمه وصناعته أو فى الشرق اللاهث وراءه أو وراء التقدم والمستقبل المرسوم له سلفا ! - أننا نحن البشر نتجاهل الحقيقة الإنسانية المباشرة ، أى حقيقة الحياة البسيطة المباشرة المرادفة للحب والمستحيلة بغير الحب . وتجاهلنا لهذه الحقيقة القريبة البعيدة فى آن واحد يجعلنا ننخرط - بدرجات وأشكال مختلفة - فى لعبة خداع النفس والتدليس عليها التى انخرط فيها « فرناندو كراب » وحشد لها كل وسائله الخسيسة للوصول إلى الغاية التى لا تقل عنها خسة : وهى السيطرة والتسلط والقوة والتملك (لما سبيل للوصول إليه إلا بالحب والتفهم والتعاطف والمشاركة !) وحتى إذا بررنا الغاية بمنطق مكيافيللى، فلابد أن نسأل وما الذى يبرر الوسائل المنحطة ؟ - هل يمكن أن يكون الطريق إلى قلب المرأة الجميلة - أى إلى قلب الحياة - مفروشا بأشواك الكذب والتآمر وفرض الهيمنة والنرجسية والصادية ..... إلخ ؟ .

إن المصير الفاجع الذى لقيته « جوليا » ، والمصير العادل الذى فاجأ « فرناندو كراب » لجديران بأن يحملانا على التفكير الجدى فى حياتنا - ولعل كلامنا يسأل نفسه بعد قراءة هاتين المسرحيتين : هل اقتربت من حقيقتى كإنسان ؟ وهل أسير على أقل تقدير على الطريق الصحيح المؤدى إليها ؟

عبد الغفار مكاوى

تانكويد دورست :

خطبة الإدانة الطويلة

أمام سور المدينة

خطبة الإدانة الطويلة

أمام سور المدينة

الشخصيات :

- زوجة شابة
- جندى
- ضابط نحيف
- ضابط سمين

(المنظر : أمام سور المدينة)

(امرأة شابة تقف أمام السور العظيم وتهتف ..)

المـــــــــــرأة : أيها القيـصر ! أيها القيـصر ! أيها القيـصر ! أيها القيصر !

الضـابط السـمين : (صوت من اعلى السور) امرأة تريد أن تكلم القيصر !

(تسمع ضحكات فى أعلى السور . سكون)

المـــــــــــرأة : أيها القيصـر ! أيها القيصر ! أيها القـيصر ! انظر إلىَّ !

الضابط السـمين : (صوت) امرأة تريد أن تكلم القيصر .

الضابط النحيف : (من اعلى السور) ماذا تريدين من القيصر ؟

الضابط السـمين : (صوت) ماذا تريدين يا امرأة ؟

المـــــــــــرأة : أنا زوجة الجندى هسوى لى .

الضابط السـمين : (صوت) وأين هو ؟

الضابط النحيف : (صوت) ألا يحتمل أن يكون قد مات ؟

المـــــــــــرأة : لا تحاولوا إخفاءه . إنى أعلم مكانه . فهو يشارك فى لحراسة البوابة الجنوبية .

الضابط النحيف : (صوت) هل يعرف هـنا أحد من الضبـاط الجندى هسوى لى ؟

الضابط السـمين : (صوت) الذى تركع امرأته أسفل السور .

الضابط النحيف : (صوت) امرأة جميلة حقا .

المـــــــــــرأة : لاحظوا ياحضرات الضباط أننى مارلت شابة . هل رأيتمونى وأنا أجتاز الشارع جريا على قدمىَّ وأعبر حـقـل الذرة فـرارا من الفـلاحين الذين كـانوا يطاردوننى ؟ ومع ذلك لا أشعـر بالتعب وأنا أقف

أمـام السور ؟ انظروا إلى ذراعى . إنهـما قـادرتان
على حمل دلوين وقـادرتان على القبض على رجل
قوى . فى استطاعتى أن أمـسكه بإصبعين أو بثلاثة
أصابع بحيث يتعـذر عليه الإفلات منى . وإذا كنتم
تستطيعون أن تطلوا على بأبصـاركم الحادة كالصقور
التى ترقب الحـمـلان ، فلابد أنكـم ، ياأصحـاب
السعادة وياحضـرات الضباط ، لابد أنكم تلاحظون
أن وجهى خال من التجاعيد ،وأن عينىَّ سوداوان ،
تحت الحاجبين : ماكرة أنا ، وشديدة الفتنة .

الضابط النحيف : (صوت) ماذا تريد ؟

الضابط السمين : (صوت) ماذا تريديـن أيتها المرأة ؟ أترغـبين أن أنزل
إليك ؟ يمكننا أن يستمتع كل منا بالآخر .

المـــــــــرأة : أريد أن أرى القيصر . علـيه أن يعيد إلىَّ زوجى .
زوجى الذى يخدم مع الجنود .

الضابط النحيف : يخدم مع الجنود ؟ إذن فهو بخير .

الضابط السمين : (صوت) أجل هو بخير ياامرأة . يجـد الكساء الجيد
والطعام الطيب . كما يحلو فى أعين النساء .

المـــــــــرأة : لكننى لست بخير يا أصحـاب السعادة ، ياحضرات
الضباط . آه لو عرفـتم حالى . أنام الليالى الطويلة
وحيدة فى فراشى ، أنا زوجة الجندى هسوى لى .
أكلم الجـدران ، أهتف فـى الريح ، هذا هو مـا
أفعله .

الضابط النحيف : (صوت) يجب أن تتعودى على هذا ياامرأة . . ألا يشرفك أن يصبح زوجك أحد جنود القيصر ؟

المــــــــرأة : بالطبع يشرفنى هذا ياأصحاب السعادة . لكن ماذا يجديني ؟ سوف أخونه . وأنا امرأة تعرف فضائل الأسرة وواجبات الزوجة . ولكن إذا لم يرجع إلىّ فسوف أخونه .

الضابط النحيف : (صوت) إذا كان قد تطوع بمحض إرادته ، فما الذى يدعوه للرجوع ؟

المــــــــرأة : لقد أخذه القيصر . أعرف هذا تمام المعرفة . هذه هى الحقيقة . وعلى القيصر أن يسلمه لى . أيها القيصر ! أيها القيصر ! أيها القيصر !

الضابط السمين : (صوت) مازلت تنادى على القيصر .

الضابط النحيف : (صوت) هل يعرف القيصر الجندى هسوى لى ؟

(ضحكات)

الضابط السمين : (صوت) هل يعرف أحد منكم الجندى هسوى لى ؟

الضابط النحيف : (صوت) أليس من الممكن أن يكون قد مات ؟

(سكون)

المــــــــرأة : أنا أعرفه . وسط ظلام الليل الدامس أعرفه . رائحة السمك تفوح منه ، صوته معبأ بالدخان ، فقد اعتاد أن يدخن أوراق السمسم وعيدان القنب ، وهذا بطبيعة الحال شئ لا يروق أنوف حضراتكم الرقيقة . وإذا ضحك ، استطاعت أذنى أن تميز صوته من بين ثلاثين جنديا .

الضابط السمين : (صوت) تقول إنها تعرف زوجها الجندى .

(ضحكات)

المـــــــــــرأة : لا . . ليس واحـــدا من هـؤلاء الذين أراهم فـــوق السور . أيها القيصر ! أيها القيصر !

الضابط النحيف : (صوت) سوف يسمع القيصر صراخها . هيا نقتلها !

الضابط السمين : (صوت) صبوا الزيت المغلى .

المـــــــــــرأة : أيها القيصر !

الضابط النحيف : (صوت) إذا لم تسكتى فسوف نصب عليك برميلا من الزيت المغلى .

الضابط السمين : (صوت) القيصر قادم !

المـــــــــــرأة : (مفزوعة) إننى أرى القـيصر ، أراه بـعينى . مـتدثرا بالقشور الذهبـية من رأسه إلى كعوب قدمـيه . كأنه سـمكة تلمع فى شـمس الصبـاح . لقـد جـاء من أجلى . وأنا أرتجف من الخوف . سألقى بنفسى فى التراب .

الضابط السمين : (صوت) القيصر يســألك إن كنت تستطيعين أن تعرفى زوجك من بين الجنود .

المـــــــــــرأة : سأعرفه على الفور عندما تكون الشمس فى ظهرى .

الضابط السمين : (صوت) القيصر يريد أن يختبرك . وقد أمر جنوده بأن يصطفوا فوق سور المدينة . انظرى إليهم وحاولى أن تتعرفى على زوجك .

المـــــــــــرأة : وإذا عرفته ؟

الضابط السمين : (صوت) سيسمح له بالذهاب معك .

المـــــــرأة : هل تتعهدون بهذا ؟

الضابط النحيف : (صوت) ألا تثقين بنا ؟

المـــــــرأة : (مصممة) لا ترددوا ! لا تضيعوا الوقت !

الضابط النحيف : (صوت) ايتها المرأة . الآن تسير أمامك الفصيلة التى دافعت أمس عن البوابة الجنوبية .

(يسمع صوت أقدام الجنود فى سيرهم اعلى السور دون أن تتمكن المرأة من رؤيتهم)

المـــــــرأة : أربعة ، خمسة ، ستة ، الدروع والخوذات تسطع فى ضوء الشمس . لا أتبين وجهها واحدا . الجميع يتحركون حركة واحدة . كيف يتسنى لى أن أعثر بينهم على زوجى ؟

الضابط النحيف : (صوت) تقدمى أيتها المرأة . ماذا تنتظرين ؟

المـــــــرأة : ما أشق هذه المهمة ! ولكن هذا الذى أراه هناك يتبع الآخرين بصعوبة ، يبدو عليه أنه يفكر أكثر منهم . إنه هو ! .

(ضحكات)

الضابط النحيف : (صوت) وها هو لك !

(تلقى عليها دمية من القش . الجنود يتضاحكون)

المـــــــرأة : (غاضبة) أيها الغشاشون ! أيها القتلة السكارى المأجورون ! إنكم تهزأون بى !

الضابط السمين : (صوت) اهدئى ياامرأة !

المـــــــــــرأة : (فى خضوع) أسأل سعادتك العفو والمغفرة . لقد قصرت فى تقديم الاحترام الواجب .

الضابط النحيف : (صوت) لعل زوجك هسوى لى قد سقط فى المعركة ؟

المـــــــــــرأة : أؤكد لسعادتك أنه كان قويا موفور الصحة .

الضابط النحيف : (صوت) سقط عدد كبير من الجنود عند البوابة الجنوبية وكانوا كذلك أصحاء وأقوياء .

المـــــــــــرأة : إنه يعلّق حول رقبته سلسلة بها لوح معدنى صغير يحميه .

الضابط النحيف : (صوت) دعى خرافاتك للعجائز !

المـــــــــــرأة : اسمى فان شين - تينج محفور على اللوح ، وسوف يردونه إلىّ إذا كان زوجى قد سقط .

الضابط النحيف : (صوت) الموتى الذين سقطوا أمس لم يجردوهم بعد من ملابسهم .

الضابط السمين : (صوت) أظهر القيصر عطفه السامى عليك . فقد أصدر أوامره باستعراض الجنود الذين يحرسون جانبى البوابة الجنوبية . وإذا كان زوجك لم يسقط ، فلابد أن يكون بينهم .

المـــــــــــرأة : أتقدم للقيصر بالشكر وأنحنى أمامه فى خشوع .

(الجنود يزحفون أعلى السور دون أن تراهم المرأة)

المـــــــــــرأة : ثمانية ، تسعة ، عشرة ، أحد عشر - ما أكثر عددهم ! خمسة عشر . الجميع يلبسون الدروع

الثقيلة والخوذات . كيف أميز زوجى من بينهم ؟
هذا الذى هناك يرجع حافة خوذته للوراء - هسوى
لى ! لقد كنت تشعر دائما بأن الحر شديد حتى ولو
لبست قميصا من الكتان - إنه هو !

الضابط السمين : (صوت) أيهم ؟

المـــــرأة : (تشير إلى أعلى بحركات عنيفة) إنه هو ! هو !

الضابط النحيف : (صوت) أأنت هسوى لى ، زوج المرأة التى تقف هناك أسفل السور وتطالب بك ؟

الجـــنـــدى : (صوت) نعم أنا !

المـــــرأة : انزل ياهسوى لىَ ! اخلع خوذتك لنبيعها فى المدينة . واملأ فمك بحفنة من الذرة ، فأمامنا طريق طويل .

الجـــنـــدى : (صوت) أريد أن أنزل إليك . ولكنى لا أستطيع .

المـــــرأة : (بقوة) قلت لك انزل ! - أتوسل إليك ياصاحب السعادة أن تصفح عنى . إننى ألقى بنفسى فى التراب أمام القيصر الجليل . لكننى امرأة شابة - وأنتم تدركون ، ياأصحاب السعادة وياحضرات الضباط المحترمين ، أننى أريد زوجى . هيا انزل ياهسوى لى، ماذا تنتظر ؟

الجـــنـــدى : (صوت) لا أستطيع .

المـــــرأة : جبان ! عبد تعس ! ألا تسبق غيرك فى الجرى عندما تخلع حذاءك ؟ ألا تفهم كيف تنحنى عندما يصوبون السهام نحوك ؟

الجـــنـــدى : (صوت) لا أستطيع .

الضابط السمين : (صوت) اسمعى أيتها المرأة ! إن القيصر الذى يطل عليك من عليائه يبدى عطفه السامى عليك . وهو يقول : يجب على الجندى أن يذهب معك . ولكن يتحتم عليكما قبل ذلك أن تقنعانا بأنه هو زوجك الشرعى وأنك زوجته الشرعية .

الضابط النحيف : (صوت) سوف نراقبكما مراقبة دقيقة . وإذا تبين أنكما خدعتما القيصر فسوف يقتل الجندى وتطاردين وراء النهر . فهمت ؟

الضابط السمين : (صوت) هل وافقت على هذا الشرط ؟

المـــــــرأة : انزل ياهسوى لى يازوجى الشرعى الذى قسم لى ، نريد أن نبين للقيصر الجليل كيف عشنا معا أربع سنوات ، أم أنك يا زوجى خائف ؟

الجـــنـــدى : (صوت) أنا قادم .

الضابط النحيف : (صوت) انتظر أيها الجندى . أين السلسلة ذات اللوح المعدنى التى أعطتك إياها زوجتك عندما تطوعت فى الحرب ؟

الجـــنـــدى : (صوت بعد فترة صمت) ليست معى .

المـــــــرأة : (تتدخل بسرعة فى الحديث) باعها ياصاحب السعادة . إننى أعرفه ، باعها فى مقابل ثلاث صحاف حقيرة من الأرز . هذا هو طبعه .

الضابط النحيل : (صوت) فكر فى الأمر مليا ياجندى . لم يزل فى إمكانك التراجع . وسنترك بوابة السور مفتوحة طالما استمر اللعب .

المـــــــــــرأة : لن تأخذوه منى مرة ثانية ياصاحب السعادة . ما بقى حيا فلن تأخذوه منى .

الضابط السمين : (صـــوت) لا تتـعجـلى ياامرأة . لنـنتظر وسنرى من يكسب فى النهاية .

الضابط الـنحيل : (صوت) والآن انتبهى ياامرأة ! انتبه ياهسوى لى ! إن القيـصر يستـمـتع بالنظر إليكما من أعلـى السور . ورماح الحـراس مسددة إلى صــدر هسوى لى . لن تستطيعا الفرار . سوف نرى إلى أين تنتهى الحكاية.

المـــــــــــرأة : (لنفسـها) آه ! كم أخاف على نفـسى من الرماح ومن نظرة القيصر . فـأنا لا أعرف هذا الرجل الذى يهبط إلىَّ من الســـور ولم أره أبدا . لكن مـــادام زوجى الشرعى لم يظهر إلى الآن فلن يرجع مطلقا ، ولهذا صممت أن آخـذ هذا الرجل الآخر . لابد أن أكون حريصة فى الكلام معه حتى لا يهرف بالباطل . وما دام قد جـاء إلىَّ بإرادته ، فعلى أن أتشـجع وأخاطر بأداء هذه اللعبة الخطرة التى فرضها حضرات الضباط على . أخذ القيصر منى رجلا ، ولابد أن يعيد إلى رجلا آخر . .

الــــــرجـــــل : (يدخل وهو يكلم نفســه) أنا خائف على نفسى ، لأنى لا أعـرف المرأة التى تقف هناك . سـوف يقـتلوننى إذا لاحظوا أننى لا أنتمى إليـها ولا هى تنتمى إلىَّ . إن بشاعـة الخدمة فـوق السور هى التى تشـجعنى على المغامرة باللعبة الخطرة .

الضابط النحيل : (صوت) لماذا تقفان هكذا بعيدين كل عن الآخر ؟
المـرأة : فرحة اللقاء العظيمة ، ياصاحب السعادة ، هى التى تحبس الكلمات وتشل الحركات .
الـرجـل : زوجتى !
المـرأة : هسوى لى ، زوجى !

(يتبادلان التحية ، يدخل الضابطان من فتحتين فى السور ، لابسين دروعا وخوذات على شكل أقنعة تظهرهما فى صورة مهولة تبث الرعب فى القلوب . يجلسان على منصة الدرج كأنهما قاضيان فى محكمة ..)

الضابط النحيف : (صوت) انتبهى يازوجة الجندى هسوى لى ! كيف كان الحال عندما تعارفتما لأول مرة ؟
المـرأة : (للرجل) كنت كسولا .
الـرجـل : كسول ؟
المـرأة : كسول مثل كيس محشو بقش الذرة ، مثل غصن مقطوع فوق مياه النهر ، كسول مثل القاضى فى قريتنا (للضباط) إذا أذنتم ياأصحاب السعادة بهذا التشبيه البعيد عن اللياقة - ألم تجلس هناك على شاطئ النهر وتبصق فى الماء ، بينما الأسماك تنظر إليك ، وأتيت إلى البيت ومعك سلة فارغة وثرثرة مزعجة ؟ مع أن يديك خفيفتان مثل سمكتين . أليس الأمر كذلك ؟
الـرجـل : أجل ... ولكن كانت لى ... وجهة نظرى ياامرأة .

المـــــــــــــرأة : « تعالوا انظروا ! هأنذا قد صرت سمكة بشوكة تقف في حلق وزير العـدل » . هكذا رحت تصيح بـهذه الكلمـات الكافـرة . « تعالوا انـظروا ! إذا فتـحت جوف هذه السمكة فـماذا أجد فيه ؟ مرسـوم تعييني وزيرا للمـالية . انتظروا قليـلا ، وسوف أصـدر أنا القوانين » . آه . ! هذا هو زوجي الذي يفغرفاه عن آخـره . وكـأن العـالم يسـمح بإصـلاح كل شئ . والبنات الغـبيات استـمـعن إليك عند النبع ، أليس كذلـك ؟ وعندما استـمـعن إليك رحن يقلن : ولد يعصر الواحدة منا عصـرا فوق العشب . يزرع حقل ذرة كامل في يوم واحد . أما ما يفعله بالليل . .

الضابط السمين : وماذا تفعل ياهسوى لي !

الـــــــرجـــــــل : (متلعثما) أنا . . ؟ أرجوك ياصاحب السعادة . . .

المـــــــــــــرأة : نعم ، لن يـتكلم عن هذا . . لـن يسـتطـيع الكلام عنه . كـانت زوجـة القـاضي تعـرف ، ياصـاحب السعادة ، ما يفعله بالليل ، كانت تعرفه أكثر مني ، أنا الخادمة المتواضعة في بيت القاضي .

الضابط النحيف : والقاضي ؟

المـــــــــــــرأة : لتحـمني الآلهة من الإساءة إلي موظف مـرموق من رجال العدالة . كان يغط في النوم .

الضابط السمين : (للـرجـل) وزوجـة القاضي ، ياهـسوى لي ؟ كـيف كـانت ؟

الرجل : كانت ... الإنسان ينسى كل شئ ، ياصاحب السعادة .

الضابط السمين : (ضاحكا) يالها من إجابة !

المرأة : ولكنك قابلتني عند النبع ، ياهسوى لي .

الرجل : كنت أمر بالصدفة . لم أكن أعرفها .

المرأة : قلت لي : جرتك ثقيلة ، يافان شين - تينج . وكنت قد سمعت اسمي عندما نادتني زوجة القاضي قائلة : « فان شين تينج » .

الرجل : فان شين - تينج كان عليك أن تحملي جرتك مسافة طويلة .

المرأة : (تبدأ في تمثيل المشهد) إلى بيت القاضي الذي ركب حماره وغادر البلدة ياهسوى لي .

الرجل : هل تسمحين لي بمساعدتك على حملها ؟

المرأة : أنت بالطبع تعرف الطريق . ولكن طريقتك في الالتفاف حوله عبر الحقول وخلال البستان تجعله أطول بكثير .

الرجل : الأفضل أن نمشي في خط مستقيم . هيا بنا !

المرأة : لكنني فكرت بيني وبين نفسي : لا شك أنه طريق عسير وشاق على من يجلس طول النهار على ضفة النهر . خير له أن لا يحمل الجرة ويكتفي بأن يسندها أثناء السير . وضحكت على فتيات القرية وقلن لي : « حتى الجرة لم يحملها عنك هسوى لي

إلى باب البيت ، مع أنه قوى مثل الثور . كيف تتصورين أنه متعلق بك » ؟

الضابط النحيل : انتظرى ! أنت ياامرأة تكثرين من الكلام وحدك . وهذا يوحى إلينا بأن هسوى لى لا يعرف الكثير عما تحكينه .

(يواصل الرجل والمرأة سيرهما . ويقوم الرجل بتمثيل دور حامل الجرة)

الرجل : أجل أجل . إنها ثرثارة . لم تتوقف عن الكلام طوال الطريق ، بينما كنت أنا أتصبب عرقا . وتملكنى الغضب لأننى حملت عنها الجرة .

المرأة : هسوى لى . أنت تحمل الجرة كما يفعل الرجال الأشداء. يالها من عضلات قوية ! لكن ماذا تعنيينى عضلاتك ؟ أنا لا أوهم نفسى بأى شئ لمجرد أنك تسير معى . ولكن ربما تصورت أننى مشغوفة بك بحجة أننى تركتك تحمل الجرة ؟ إننى لاأراك على الإطلاق – هل تأكل سمكة مطبوخة أم مقلية ؟

الرجل : مقلية .

المرأة : أنا لم أتعلم القلى ، إننى أسلقها وأضع معها سبعة أعشاب زكية الرائحة . أرأيت ؟ لن نستطيع أن نأكل معا ، هل تفهم فى بيع السمك بالسعر الذى يستحقه فى نظرك ؟

الرجل : هذا عمل التاجر ، لا عمل الصياد .

المرأة : أرأيت. سوف نجوع معا. لا يهمنى ، ياهسوى لى ، أن توصل الجرة إلى بيت القاضى . يمكنك أن تضعها

على الأرض إن كانت ثقيلة . - هل تنام في العادة على جنبك الأيمن أم على جنبك الأيسر ؟

الرجل : على جنبي الأيسر .

المرأة : أما أنا فعلى جنبي الأيمن . أرأيت ؟ إذا رقد الزوج على جنبه الأيسر بجوار زوجته فمعنى هذا أننا سننام وظهورنا لبعضنا ، ولن نتمكن من النظر في وجوه بعضنا ونحن ممددان على الحصيرة - قل لي : ما هو رأيك في السنوات القادمة ؟ كيف تتصور أحوالها ؟

الرجل : إن الذين يتحكمون فينا هم الذين يصنعونها . ماذا أستطيع أن أفعله أنا ؟

المرأة : سيصنعونها بخيرها أو شرها ياهسوى لي ، ولكن لا شك أنهم يصنعونها أفضل منك . فلهم أيد أكثر عددا من يديك . وهم وحوش ، لكل منهم أربعون يدا . تنبت من كل مكان في أجسادهم ، من البطن والكتفين ، بل تنبت من آذانهم . وأنت ستقضي حياتك كلها في كيس من الكتان المملوء بالقمل . ولكن استمر في حمل الجرة عني ، أيها الخامل الكسول ، حتى بيت القاضي . لا تقف في مكانك . تقدم ! هيا تعال ! تعال ! (للضباط) باختصار ياصاحب السعادة أفصحت له عن حبي بقدر ما استطعت وبقدر ما أضمرت له من الحب .

الضابط السمين : مازلنا نسمعك أنت وحدك ياامرأة ، ماذا قال ؟

الـــــرجـــــل : ((يتوقف عن السير ، ويتصرف كما لو كان يضع الجرة على الأرض)
أخيرا وصلنا .

الضابط النحيف : (بحدة) ماذا قلت ؟

الـــــرجـــــل : (ينطق العبارات التالية بغير إحساس ، كأنه يحفظها عن ظهر قلب) فإن شين تينج . الآن أراك على حقيقتك : لأنك حافية ، أرى قدميك الجميلتين ، لأنك فقيرة لا تملكين شراء أدوات الزينة ، أرى ابتسامتك ، لأنك ترتدين ثوبا باليا ، أشعر بشهوة جسدك ، فان شين تينج ، لأجلك قطعت هذا الطريق .

الضابط السمين : غلط ! هل سمع أحد عاشقا يريد أن يعانق امرأة ومع ذلك يتكلم بهذه الطريقة ؟ نغمة صوتك الكاذبة كشفت القناع عن وجهك .

الضابط النحيف : (يقفز من مكانه ويقول بحدة) انكشفت ياهسوى لى ! سيكلفك هذا رقبتك !

المـــــــــرأة : ياصاحب السعادة . اسمح لى أن أثنى على أذنك الحادة السمع وعلى نظرتك التى لا تخيب . ولكنكم لم تلاحظوا سوى جزء من الحقيقة . أما ما حدث فى الواقع ، فسوف يظهر الآن فى النور . هل تتكرم سعاتك بأن تساعدنى على ذلك ؟

الضابط النحيف : هل تكلم معك هسوى لى بهذه الطريقة أم لم يتكلم ؟

المـــــــــرأة : صحيح ياصاحب السعادة ، ولكنه لم يفعل ذلك أثناء الطريق . أرجوك أن تتذرع بالصبر . كنا قد

وصلنا إلى بيت القاضى . وكان القاضى قد غادر البلدة على ظهر حماره . دخل هسوى لى البيت واتجه إلى زوجة القاضى .

(تعطى الرجل إشارة . يدخل الرجل البيت - الذى يتوارى خلف أشجار كثيفة متشابكة)

الضابط النحيف : تريدين إبعاده لألاً يفضح نفسه أكثر مما فعل . كونى على حذر .

المـــــــرأة : ذهب إلى زوجة القاضى ، ياصاحب السعادة ، ولم تكن هذه هى أول مرة ، هل كان هذا عدلا ؟

الضابط السمين : (بحسن نية) لابد أن زوجة القاضى كانت أجمل منك.

الضابط النحيف : (بحدة) كان هذا ظلما وعدوانا . لأن سلطة القاضى قد أضيرت بسلوكه هذا بصورة مهينة .

المـــــــرأة : (للضابط النحيف) ليت سعادتك تساعدنى على عرض حكايتنا كما حدثت فى الحقيقة والواقع . كان القاضى قد غادر القرية على ظهر حماره .

الضابط السمين : استمرى .

المـــــــرأة : آه ! السيد القاضى يزور قريتنا ، ياله من سيد نبيل! كيف لامرأة مغمورة مثلى أن تجرؤ على قول شئ يسئ إلى هذا السيد ؟ - اليس من واجب موظف العدالة المرموق أن يهتم بإقرار العدل ؟ أليس من واجبه أن يعاقب الظلم والشر ، وأن يحيا فى بيته الجميل حياة طاهرة بعيدة عن اقتراف الشر وعن

تحمله ؟ إن السيد القاضى يقيم العدل ويصون النظام بسمعتـه الطيبة وحدها . فإذا ساءت سـمعته فكيف يحترمه البسطاء الذين يعيشون فى بيوتهم الصغيرة ؟ وأين يجـدون الـقــدوة ؟ أليس كـذلـك ياصـاحب السعادة ؟

أما أمثالنا فـما أكثر مايفعلون الشـر ويتعرضون له . ومـا أكثـر مـا يمرغـون وجوههم فـى التراب أمـام العدالــة . لكن القــاضــى الحكيم يقـول كـــذلك ياصاحب الـسعادة : إن مـا يفعلـه الصــغـار صغـير مثلهم ؛ فهو لا يسقط عـصفورا من أعلى الشجرة . وأما ما يفعله السادة الكبار فى بيوتهم الجميلة ، فإن الناس تتناقلـه سرا وفى كل مـكان ، حتى يتـحـول فجأة إلى قانون . لهذا يتحتم ، ، إن كان شرا ، أن يعاقب عقاباً أشد صرامة . ألا يتكلم القـاضى النزيه بهـذه الطريقة ؟

الضابط النحيف : القاضى الذى يحـافظ على سمعتـه يبث الخوف فى قلوب صغار الناس الذين لا يعرفون حدودهم .

المـــــــــــرأة : أتمنى ياصــاحب السعـادة أن تقوم بدور القـاضى فى حكايتنا ، لكـى يـتسنى لك أن تعـرف حـقيـقة مـا حدث .

الضابط النحيف : دور القاضى المخدوع ؟ الذى يضحك عليه الناس فى القرية لأن صياد السمك النتن قد ذهب إلى زوجته ؟

المـــــــــرأة : بل دور السيد موظف العدالة الذى يحرص كل الحرص على سمعته فى سبيل إقرار العدل . ياله من سيد نبيل ! وكم أتمنى ألا يسقط عليه ظل واحد من ظلال اللوم ! .

الضابط السمين : (للضابط النحيف) مثل معنا . إن اللعبة تستحق أن نتسلى بها .

الضابط النحيف : كن على حذر

المـــــــــرأة : ياله من دور رائع لكما ياصاحبى السعادة . إن السيد موظف العدالة رجل مرموق ، وكلامه دقيق صارم ، مثل كلامكما تماما ياصاحبى السعادة ، وتأثيره قوى على الفلاحين ، أما عن نظرة عينيه فتكفى نظرة واحدة لكى يرتعش الأشرار خوفا ، وما أكثر الشر الذى يعيش فى الحظائر والبيوت ومخازن الغلال ! سلالة من الفيران الكابية اللون الراجفة الأعين . آه ! السيد القاضى يركب دابته عبر الحقول . ياله من دور بديع ومناسب لك ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : (يخلع درعه ويهبط من فوق المنصة)
وماذا ينبغى أن أفعل ؟

المـــــــــرأة : لن تكلف نفسك حتى بالتمثيل ياصاحب السعادة . وما دمت قد نزلت من على المنصة ياصاحب السعادة فأنت القاضى بشحمه ولحمه . سوف تعرفون الحقيقة عن هسوى لى وعنى ، أنا خادمة زوجتكم المبجلة ،

لقـد دخلت الـبلـد على ظهـر حمـارك ياصـاحب السعادة ، فأسعدت قلوب الأخيار جميعا والأبرار ، وقدموا لك اللحم المدخن ، ونبيذ الأرز والخوخ - ، كـما نشـرت الرعب فى قلوب الأشـرار ، فأخـذوا يتنافـسون كلهم فى تكريمكم وأداء واجـب الضيـافة نحوكم .

(يبدأ الضابط النحيف فى أداء الدور الذى يتم شرحه له)

ولكن ماذا يقول لكم الفـلاح الأحدب العجوز يونج - هسين خلف حـقل الذرة ؟ لقـد قـال شيـئـا عن زوجتكم وعن صياد الـسـمك هسوى لى . لا تصغوا إليه ياصاحب السعـادة ! وواصلوا السير ! ولكن ما إن تواصلوا السير لمدة ساعتين فى القيظ الشديد ، ما أن تتوقفوا قليلا فى المطعم الصغير فى نهاية القرية ، حتى تسـمعوا الناس وهم يـتهامـسون على الموائد ، عن هسوى لى صياد السمك يدور الهمس بينهم . . لا تنصتوا إليهم ياصـاحب السعادة القاضى ، لأنكم لن تسـمعوا منـهم إلا نصف الحقـيقة . ولـكن ماذا يقولون ؟ أجل ! لقد سمعتهم الآن ! إنهم يقولون : هل يمكن أن يكون قاضـيا عظيما من يتـولى القضاء فى القرية المجاورة ، الواقعة على مسيرة ساعتين فى

الحر اللافح بين دار القضاء التى تستقر فيها المشنقة
وبيته الجميل الذى يحدث فيه شئ يحسن السكون
عنه ؟ إن السيد القاضى يرهف أذنيه لمثل هذا
الحديث . ولهذا يسارع بالرجوع وينزل من على ظهر
حماره خلف سور الحديقة . لا يصعد الشارع
الرئيسى وإنما يشق طريقه خلال أشجار الدغل
الكثيفة. إنه يريد أن يرى ما يجرى فى بيته الجميل .
لكننى لمحته ، أنا الخادمة فان شين تينج ، أرجوكم
الصفح ياصاحب السعادة عن خادمة مغمورة . .
(تنادى) هسوى لى ! ربما تكون غاضبا ياصاحب
السعادة ، لك ما تشاء .

الضابط النحيف : (فى دور القاضى) صياد نتن الرائحة يلطخ شرف بيتى .
أنا القاضى وسأحرص على أن يعلق صباح الغد على
أقرب وأفضل شجرة . لقد سمعت الناس بنفسى
وهم يضحكون على .

المـــرأة : هسوى لى ! اخرج بسرعة ! تعال إلى ! أسرع !
أسرع قل كل شئ يمكنك أن تقوله لامرأة تحبك !
(يخرج الرجل من البيت ويتجه نحو المرأة التى يغازلها بصورة رسمية
متكلفة)

الـــرجـــل : لأنك حافية ، فإننى الاحظ قدميك الجميلتين ،

ولأنك فقيرة ولا تملكين ثـمن الأصباغ ، فإننى أرى
ابتسامـتك وحمرة وجهك ، لأنك تلبـسين ثوبا باليا
فإنى أشعر بالشهوة التى تحرك جسدك ، لقد حضرت
إلى هنا من أجلك يافان شين – تينج .

المـــــــــــــرأة : اسكت ! فقـد رجع السيد القاضى فـجأة . (للضابط النحيف) ياصاحب السـعادة ! أتوسل إليكم أن تعـفوا عن تقصيرى وإهمالى ! سأخبر زوجتكم المبجلة على الفور بحضوركم .

الضابط النحيف : انتظرى ! لا تتحـركى ! لقد قـال الناس إن زوجتى تلتـقى بصـياد السـمك هسـوى لى . هل هذه هى الحقيقة ؟

المـــــــــــــرأة : صحيح أن صياد السـمك هسوى لى قد دخل بيتكم ياصاحب السعادة . ولكنه لم يدخل حجرة زوجتكم المبـجلة التى تنتظركـم وعلى رأسهـا تاج الفـضـائل جميعا . وإذا كـان الأهالى الذين يرصدون حركات الناس لم يشاهدوه وهو راجع إلى كوخه فى المساء ، فالسبب فى ذلك أنه بقى معى حتى الصباح .

الــــــرجـــــــل : هذا هو الذى حدث ياصاحب السعادة .

الضابط الـنحيل : إذن فلن أزعج نوم زوجتى .

المـــــــــــــرأة : يمكنكم أن تعودوا إلى مكانكم ياصـاحب السعادة ،

لأن السيد موظف العدالة ركب حماره وانصرف على
مرأى من الجميع . بهذه الطريقة ياصاحب السعادة ،
لم تفقد العدالة في قريتنا سمعتها الطيبة . هكذا
توجهنا معا ، هسوى لى وأنا ، إلى كوخه الواقع
على شاطئ النهر. (وهى تنحنى) هسوى لى ! زوجى !

الرجل : فان شين - تينج ، زوجتى .

المرأة : الرجل والمرأة مرتبطان ارتباط السماء والأرض .

الضابط السمين : (ضاحكا) أجدت التمثيل ياامرأة !

المرأة : شكرا لك ياصاحب السعادة على مروءتك .
واستأذن سعادتكم فى السماح لى بالرجوع إلى
قريتى مع زوجى الشرعى . .
(تحاول الانصراف مع الرجل)

الضابط النحيف : انتظرى أيتها المرأة ! لن تفلتى منا بهذه السهولة ! إن
الدور الذى قمت بعرضه لا يقنعنا ، نريد الآن أن
نعرف كيف عشتما معا .

الضابط السمين : كم مضى على حياتكما معا ؟

المرأة : أربع سنوات ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : وأين كان هذا ؟

المرأة : فى الكوخ المطل على النهر .

الضابط النحيل : وكيف عشتما ؟

المـــــرأة : عشنا سعيدين ياصاحب السعادة .

الـــرجـــل : من صيد السمك ؟

المـــــرأة : تعلم أن لا يلقي الأحجار في النهر كما كان يفعل . أصبح زوجي هسوى لي رجلا نشيطا .

الـــرجـــل : كان النهـر قد انتـفخ من كثـرة الأسمـاك ياصاحب السعادة .

الضابط النحيل : (في سخرية بصوت حاد) يالكما من محظوظين هناك ! ألا تريدان أن تعرضا علينا هذا ؟

المـــــرأة : السعيد لا يفكر في السعادة .

الـــرجـــل : لو أذنتم لنا بالانصراف لكي نرجع للنهر .

(يهمان بالانصراف)

الضابط النحيل : قفـا ! الحراب مصوبة إلى صـدوركما ! لا تتحـركا خطوة واحدة ! أرونا كيف عشتما أربع سنوات على شاطئ النهر ؟

المـــــرأة : هذا أمر شاق .

الـــرجـــل : دعونا نذهب !

الضابط السمين : خائف ؟ هل ضبطناكما متلبسين ؟

الضابط النحيف : ألا تذكران كيف كانت حياتكمـا معا ؟ هل تعارفتما في وقت آخر ؟

المـــــرأة : (تجر الرجل معها إلى التمثيل) ذهبنا معا إلى النهر وسكنا في الكوخ ، وجلسنا على الحصيرة المجدولة من البوص .

وهكذا تذكر ياهسوى لى كيف كانت حياتنا فى ذلك الحين .

(يجلسان على الأرض متباعدين)

الـــــرجـــــل : الطريق الطويل خلال الغـاب الكثيف ، وحوض الماء العكر إلى الركـبتين ، ثم الأحجـار التى حـملتهـا بنفسى .

المـــــــــــرأة : قلبك حنون ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل : حـملتهـا حـجرا بعـد حـجـر ، لأعلم بهـا الخليج الصغير ، هناك لا ينفع الصيد بالسنارة .

المـــــــــــرأة : لا ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل : ثم صنعت السلاسل لصيد السمك . واخترت المكان الملائم ، لأن الاسماك تلوذ بالمخابئ التى تشـعر فيها بالأمان . وهناك يتحتم صيدها .

المـــــــــــرأة : لقد نجحت فى الوصول إلى أماكنها ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل : وضـفرت السـلال بين أعواد الصـفصـاف الواسعـة المستديرة التى يتخللها الماء ببطء مع حركة التيار .

المـــــــــــرأة : وسـرعـان ما نصـطاد السـمك الذى يكفى طعـامنا ياهسوى لى .

الـــــرجـــــل بالأمس كانت ثماني سمكات. واليوم إحدى عشرة. سوف أجـدل سلة أخرى وأثبتـها فى النهـر . وبعد الظهر أجلس على الصخور المستوية وأضع ساقا على ساق ، وأظل أتطلع للـماء حتى تغـرب الشمس بين أعواد الغاب .

المـــــرأة : ثم تأتى إلى كوخنا . ولدينا مايكفينا من الطعام .

الـــرجـــل : وأقول لنفسى : إذا تجمع لدى ما يكفى من السمك ، وضعـته فـى قـارب . الصيـاد العجـوز وانج وعدنى أن يترك لى قاربـه يومين فى الأسبوع . إنه مـستغن عنه ، وربما لا يحتاجـه بعد ذلك أبدا . وأنحدر مع النهر يوما بأكمله ، وأعود فـأصعد بسهولة مع النهر بعد أن فرغ القارب من حمله وبعت السمك .

المـــــرأة : وترجع إلى كوخنا وتجدنى فى انتظارك .

الـــرجـــل : ويوما من الأيام يصـبح لى قارب خـاص ، أبحر به إلى المدينة ، هناك عند منحنى النهر .

المـــــرأة : ما أسعدك بعملك ياهسوى لى !

الـــرجـــل : وما الذى يمنعنى من الانحدار مع النهر إلى أبعد من ذلك ، وهناك أستـأجر عربة يجرها حمـار ، وأنتقل بين القرى؛ حيث تباع الأسماك ببضع عملات نحاسية أزيد من سعرها فى تلك المدينة الصغـيرة البائسة عند منحنى النهـر ؟ ستطول الرحلة بضعـة أيام ، ولكـن مـا أهمية ذلك ؟

المـــــــــــــرأة : وأنتظرك فى صبر يا هسوى لى ، لأنى أعلم أنك سوف تعود ، وأن بيتنا يحمينا .

الـــــــرجـــــل : ليتك رأيت السوق الذى يضج بالحياة يا فان شين - تينج . هناك تجدين كبار التجار الذين لا يحبون أن يخاطبهم أحد أثناء مرورهم ، والطباخين الذين يعملون فى بيوت العلائلات الغنية ، أنهم يقلبون الأسماك هنا وهناك ، دون أن يرضيهم شىء ، ولابد فى هذه الأحوال أن أظهر براعتى ، وتجدين نساء العمال الحرفيين والسماسرة والصرافين الذين أتعامل معهم كما أتعامل مع أمثالى ، والعلماء الفقراء كذلك - هاك يا صاحبى ذيل سمكة تطبخها مع شربة الكرنب . لابد أن أكون ذكياً وأشطر من غيرى ، وإلا تلقيت اللطمات على أذنى .

المـــــــــــــرأة : أنا واثقة من براعتك يا هسوى لى ، ولا أشعر بأدنى خوف من كساد بضاعتك ، فلدينا ما يكفى لكى نعيش فى كوخنا .

الرجل : الأشرار يدبرون الحيل كالشياطين . بالأمس كسروا إحدى عجلات عربتى لكى أتأخر عنهم فى الذهاب إلى السوق . كان على أن أنتبه حتى لا يفكوا السلسلة التى ربطت بها القارب بجوار الشاطىء .
لابد أن أكون أمكر منهم ، فهم أعداؤنا .

المرأة : نحن لا نريد أكثر من أن نعيش فى كوخنا يا هسوى لى . فكيف يكون لنا أعداء ؟

الرجل : أنت لا تحسين بشىء ، تعيشين طول اليوم فى كوخك ولا تشعرين بما يجرى فى العالم . أما أنا - أما أنا . . .

المرأة : نريد أن نبقى فى كوخنا يا هسوى لى .

الرجل : (نافذ الصبر) ألا تفهمين ما أقول ؟ فى الكوخ ! فى الكوخ ! ليس لديك إلا فى الكوخ ! الكوخ ! أربع خطوات للأمام وأربع للوراء . والنافذة مغلقة على الدوام ،
(بغضب) أنت وكوخك !

الضابط السمين : برافو ! برافو ! هكذا تكلم الرجل كما يليق برجل .

المـــرأة : (في قلق) هل تأذن لنا الآن بالانصراف يا صاحب السعادة ؟

الضابط النحيف : انتظر . إن لم تخنى الذاكرة فقد ارتفعت مياه النهر فى العام الماضى .

لابد أن هذا قد أصابكما أيضا .

المـــرأة : ليتك يا صاحب السعادة لا تذكرنا بشيء فظيع كهذا !

الضابط النحيف : أجيبا . أين كنتما عندما ارتفعت مياه الفيضان ؟

أجب يا هسوى لى !

الـــرجـــل : (يلوذ بالصمت)

المـــرأة : على سطح كوخنا . إنه يرتكز على أعمدة متينة .

بينما سال النهر وغمرت مياهه الضفاف المكتظة بأحراش الغاب .

الضابط السمين : (ضاحكا) جلسا على السطح . ألم يكن منظرهما مضحكا ؟

الضابط النحيف : كم من الوقت مضى عليكما ؟

المـــرأة : كم من الوقت ؟ . .

الـــرجـــل : جرفت المياه القارب .

المـــرأة : نادينا الجيران من كل ناحية ، لكن المصاب بالمحنة مصاب بالصمم .

الضابط السمين : (للمرأة) وكم لبثتما ؟

المـــرأة : أظلمت السماء ثم أشرقت .

الضابط النحيف : (بحدة) وهكذا جلستما على السطح . فاجلسا الآن كما كنتما تفعلان ، وكما أخذتما تنظران أحدكما للآخر ، فاجلسا بحيث تنظران لبعضكما .

(يجلس الرجل والمرأة بطريقة توحي بأنهما قاعدان فوق سطح ضيق مائل ، مواجهين لبعضهما وناظرين كل منهما فى وجه الآخر)

المـــرأة : طال علينا الليل . ولما طلع الصبح . . .

الـــرجـــل : (شاخصا ببصره إليها) لم أرك أبدا كما أراك الآن

المـــرأة : يجب أن نصبر يا هسوى لى - تشانج كو - تونج ، تاجر الزيت فى القرية ، سوف يحضر بقاربه ، إنه رجل طيب .

الـــرجـــل : (يهب واقفا) الصبر !

المـــرأة : الكارثة أصابت كل القاطنين على شط النهر ، لأنهم جميعاً عاشوا على خيره .

الــــــرجـــــــل : (يهم بالانصراف) لا أريد أن أجلس هنا أكثر من هذا .

الضابط السمين : قف عندك يا هسوى لى ! أتريد أن تغرق ؟ حاذر أن يسقط سقفك إن قفزت من عليه كما يفعل الصبية !

المـــــــــــــرأة : هسوى لى ، أحش فمك بالبرقوق واشرب من الزجاجة . لم تزل فى سلتى بعض صحاف الأرز والبازلاء ، بل معى لحم جاف ، أرأيت كيف فكرت فى كل شىء ! يمكننا أن نتحمل العيش بعض الوقت على السقف .

الضابط النحيف : انظر إلى زوجتك ! لا تحرك أطرافك حركات لا داعى لها !

المـــــــــــــرأة : ألم أفكر فى كل شىء يا هسوى لى ؟

الــــــرجـــــــل : (يحدق بجمود) علينا أن نتحمل العيش لبعض الوقت على السقف .

المـــــــــــــرأة : هل تشعر بالبرد ؟ أحضرت معى غطاء فى السلة ، وفرشة من جلود الكلاب ، وحصيرة جدلتها بنفسى .

الــــــرجـــــــل : لا .

المرأة : هل تيبست أعضاؤك من جلوسك القرفصاء ؟ أأدلكها لك لتعود طيِّعة كما كانت ؟ لديّ خبرة في هذا . .

الرجل : لا .

المرأة : هل تشعر بالخوف ؟ أحكى لك عن ذلك الصيف الجميل الذى أتينا فيه إلى النهر ؟

الرجل : لا

المرأة : هل تُحس بالملل ؟ أتحب أن أغنى لك أغنية ؟

الرجل : لا

المرأة : هسوى لى ، يا زوجى الحبيب ، إنى أنتظر فى خضوع أن تبدى أية رغبة .

(الرجل يهم بالوقوف)

الضابط النحيف : انظر إليها يا هسوى لى ! المكان ضيق على سطحكما . لا تتحرك .

الرجل : إننى أنظر إليك .

المرأة : غدا تنخفض المياه فى النهر الأصفر . فيم تفكر ؟

الرجل : إننى أنظر إليك .

المرأة : ليتنى أجد وسيلة لأسرى عنك ، سأغنى لك أغنية

(تبدأ فى الغناء)

فى اليوم الأول

سقط المطر

فأخذ الأب قبعته ،

قال لنفسه :

المطر ، المطر الرائع .

فى اليوم الثالث

سال المطر

وفزع الأب والأم

تطلع كل فى وجه الآخر

إذ سال المطر

المطر الرائع .

فى اليوم التاسع

زاد المطر هطولا

وحساؤهما ازداد نحولا

من هول المطر

المطر الرائع ،

جاء اليوم الثانى عشر

فرفٍ جناح الشحرور

وحين يجىء اليوم الثالث عشر

سيغدو الجو جميلا

فى المطر ، المطر الرائع .

(الرجل يحدق فيها بغير انفعال)

الضابط النحيف : لا تتحرك من مكانك يا هسوى لى ! إن مياه الفيضان تتصاعد نحو السطح ! انظر إلى زوجتك ! انظر إليها !

الضابط السمين : انظر إلى زوجتك . انظر إليها .

الضابط النحيف : لأنك لا تستطيع الابتعاد عنها .

الضابط السمين : ولا تستطيع أن تقفز من السطح فى مياه الفيضان .

الضابط النحيف : سيكون فى ذلك موتك يا هسوى لى . انظر إلى زوجتك .

الرجل : (يهب واقفا فجاة ويصرخ) لا

المرأة : (مفزوعة) هسوى لى ! زوجى !

الرجل : دعينى .

المرأة : ماذا تنوى أن تفعل ؟ ابق هنا ! إنك تقتل نفسك ! تقتلنا معا !

الـــــرجـــــل : أريد الذهاب ! لا أريد البقاء معك ! إنى لا أحتمل !

المـــــــــرأة : لا يمكـن الـذهاب يا هسـوى لى . لابد أن تبـقى معى . أنت زوجى أمام القانون .

الـــــرجـــــل : (ينتزع نفسه منها ويلقى بنفسه فى الماء) لست زوجك . إننى لا أعرفك . لم أعرفك أبدا .

المـــــــــرأة : (ترتجف وتنكمش على نفسها . تخفى وجهها بيديها) هسوى لى !

الضابط النحيف : (يهب واقفا على قدميه) ابق مكانك أيها الجندى ! لا تخط خطوة واحدة ! وإلا سمرتك الحراب !

(يثبت الرجل فى مكانه)

حاول الجندى هسـوى لى أن يخدعنا ويخـدع جلالة القيصر الذى كـان رؤوفًا به ، وذلك عندما ادعى أنه الزوج الشرعى للسـيدة فان شين تينج . إنه متهرب من الخدمة .

المـــــــــرأة : أخطأت يا صـاحب السعـادة . أخطأتم يا حضـرات الضباط . لقد قال ما قاله وهو منفعل . كما يتصرف رجل اضطر للجلوس مع زوجته على السطح .

الضابط السمين : ولكنه مـثّل دوره بصدق أكـثـر منك يا امرأة . لقـد خسرت !

المـــــــــــرأة : يا صاحب السعادة . أنا امرأة فـقيرة مسكينة . ولابد أن أحافظ على زوجى .

الضابط النحيف : أراد الرجل أن يهـرب منك . حـتى الفـيـضـان لم يستطع أن يمنعه .

المـــــــــــرأة : ولكن مياه النهر تراجعت بعد ثلاثة أيام .

الضابط السمين : اعترفى بأنه ليس زوجك .

المـــــــــــرأة : تراجعت المياه . وبدت الأرض كابية متورمة ، كأنها جرذان ضخم ميت . واستمرت حياتنا معا ، هسوى لى وأنا .

الضابط السمين : ربما تريد أن تجـرب ثانيـة ؟ (للضـابط النحـيف) أعطها فـرصـة أخـرى ، فقـد استطـاعت أن تسلينا ساعـة كاملة . بعدها يمكن أن يتم هذا (إشارة تدل على الشنق) بصورة أسرع .

المـــــــــــرأة : يا صاحبى السعادة ! أشفقا على الرجل المسكين الذى أحبه ! كان كوخنا قد أصـبح مجدبا . وجرفت المياه المائدة والكرسى والسـرير . وكـان لابد من تعـبيـد الطريق الموصل من أحراش الغاب إلى القرية .

الضابط السمين : هيا ابدئى - هل سيشارك زوجك ؟

الضابط النحيف : أم أن الرعب أخرسه ؟

الضابط السمين : لعله نادم على نزوله من فـوق السور . فى إمكانه أن يرجع ، هذا الجندى .

المـــــــــــرأة : كان الرجال الذين يجمـعون المتطوعين قد وصلوا فى ذلك الوقت إلى القرية . ولكن هسوى لى حشا أذنيه بالأعشاب . . .

الضابط السمين : اسمع يا هسوى لى ! إن أحوالك كـما تعلم سيئة . فمعك فى الكوخ زوجة ثرثارة ، وأهالى القرية الذين يعرفونكـما يقولون إن من لا يملك شيـئا لا يحصل على شيء ولا يعطى كذلك شيـئا . ثم إن الأسـماك تموت فـى النهـر ، والـرائحـة النتنة منتـشـرة فـوق الضفاف . . .

المـــــــــــرأة : هسوى لى . بماذا ترد عليهم ؟

الـــــرجـــــل : اذهبوا . اذهبوا .

الضابط النحيف : (ساخرا) ألم تسمع الأغانى التى ينشدها الجنود ؟ إنهم يتكلمون فيهـا عن الغزو . ناهيك عن الاحترام الذى

يديه الفلاحون الجائعون للمجند الذى يحصل كل
يوم على ثلاثة صحون من الأرز . وأصحاب
القوارب الذين يتنافسون على نقل الجنود عبر النهر .

المرأة : (بضراعة) هسوى لى .

الرجل : (للرجال الذين يجمعون المتطوعين) أذهبوا . اذهبوا .

(الضباط يضحكون)

المرأة : ابق فى الكوخ ، يا هسوى لى . حتى يأتى الصيف
ويذهب الرجال إلى الأرياف .

الضابط النحيف : زوجك ذهب بالفعل مع الجنود ، لقد شبع منك بما
فيه الكفاية .

المرأة : لم تكن لديه الرغبة فى الذهاب يا صاحب السعادة .
أقسم لك . هم الذين عثروا عليه وأخذوه معهم .
لقد رفض الذهاب معهم . تكلم يا هسوى لى .

الرجل : لم أستجب لطلب الرجال الذين يجمعون
المتطوعين ، لجأت إلى أحراش الغاب وجلست
هناك ، بعيدا عن الكوخ ، حيث يثير الماء الآسن
فقاعات كابية اللون ، أنا هسوى لى الفقير المسكين .

ورحت أستمع إلى حديث فان شين - تينج مع تاجر الزيت الذى أخذت تتوسل إليه ليخفض أسعار حاجاتنا من التموين ، كما أستمع إلى أصوات الجنود الذين تتابع خطاهم على السد من فوقى واحد بعد الآخر . سمعتهم ينادون ، فسددت أذنى وانكفأت وسط الأحراش ووجهى إلى الماء . كيف يمكننى إذن أن أعيش ، أنا هسوى لى ؟

(يعود إلى الانخراط فى دوره)

المـــــــرأة : (بعيدا عنه « فى الكوخ ») إننى أحبك يا هسوى لى

الضابط النحيف : ألم تذكرى من قبل يا امرأة أن تاجر الزيت جاء لزيارتكم ؟

المـــــــرأة : نعم يا صاحب السعادة . تاجر الزيت شانج كو - تونج وهو رجل ودود أصلع الرأس . استجاب لتوسلاتى إليه فسمح لنا أن نستدين منه مبلغا يساوى ثلاثمائة عملة نحاسية نسددها له بعد شهر .

الضابط السمين : ورجع تاجر الزيت مرة أخرى ؟

المـــــــرأة : وهو سيد لطيف يا صاحب السعادة ورقيق القلب . إن صوته يشبه صوتكم .

الضابط السمين : ورزوجك هسوى لى ؟

المـــــــــــــرأة : بقى فى أحـراش الغـاب يا صاحب الـسعـادة طوال الصيف .

الضابط السمين : أراد أن يقطع علاقته بك ؟

المـــــــــــــرأة : وظل الجنود يعـبـرون السد المرتفع هـناك واحد بعـد الآخر . كان قد اختبأ منهم .

الضابط النحيف : سمعت يا هسوى لى ؟ أنـت أيها الخامل الكسول . أيهـا الجبـان المختـبىء وسط أعـواد الغاب ، والميـاه العكرة تصل إلى سـرتك . هل سـمـعت أن تاجـر الزيت قد جاء ليسترد المال الذى أقرضه لكم ؟

الضابط السمين : وهو رجل طيب ، رجل رقيق القلب يا هسوى لى . لقد وافق على إمهالكم شهرا آخر ، لأن فان شين - تينج عرفت ببراعتها كيف تتوسل إليه .

(الضابطان يضحكان)

الضابط النحيف : ويواصل الجنود عبورهم للسد من فوقك يا هسوى لى

المـــــــــــــرأة : لا يمكننى أن أذكـر تاجر الزيت شـانج كـو - تونج إلا بالخير يا هسوى لى .

(ضحكات)

لقد كان يشبهكم فى صوته ، وحركاته ، وإحساسه
النبيل يا صاحب السعادة (تشير إلى الضابط السمين) . هل
تسمحون لى يا صاحب السعادة بأن أدعوكم للنزول
إلى هنا لكى تعرفوا بنفسكم حقيقة ما جرى .

الضابط النحيف : أهذه حيلة أخرى من حيلك القذرة يا امرأة ؟

المـــــــرأة : إنه رجل رؤوف وسيد نبيل . كم زارنى فى كوخى
الفقير . وكم تكلمت معه .

الضابط السمين : (ينزل من فوق المنصة إلى خشبة المسرح ويبدأ فى تشخيص دور تاجر
الزيت) عن أى شىء تكلمت معه يا امرأة ؟

(ضحكات)

الضابط النحيف : انصت يا هسوى لى ، يا من تختبىء هناك فى
أحراش الغاب !

المـــــــرأة : عن أسعار الزيت يا صاحب السعادة . تحدثنا عنها
طويلا ؛ لأن كلينا يفهم فيها بعض الشىء - صباح
الخير يا سيد شانج كو · تونج .

الضابط السمين : (فى دور تاجر الزيت) صباح الخير يا سيدة شين - تينج .

المـــــــــــرأة : تفضل بالدخول .

الضابط السمين : إليس زوجك بالبيت ؟

المـــــــــــرأة : ما الداعى لسؤال سيادتكم عن زوجى ؟ لقد استأذنته فى الكلام معكم عن الأمور التى تهمنا .

الضابط النحيف : أنصت يا هسوى لى ، يا من تقبع هناك فى أحراش الغاب !

الضابط السمين : أنت فى غاية اللطف يا سيدتى العزيزة .

المـــــــــــرأة : لندخل البيت لكى أستطيع أن أقدم لكم ما يليق بضيف كريم مثلكم .

(ضحكات الضابط النحيف)

لماذا تضحك يا صاحب السعادة ؟ ألا تعرف سعادتك آداب اللياقة البسيطة ؟

الضابط النحيف : استمرى ، استمرى يا زوجة الجندى هسوى لى . ابذلى كل جهدك للحفاظ على كوخك وزوجك وكل ما هو عزيز عليك .

الضابط السمين : مهما ساومتنى على جرار الزيت فلن يمكنك أن تغبنى حقى . فحتى لو كان الفيضان قد جرف

جراري ، فإن البقية منها قد ارتفع ثمنها بحيث لا تهمني الجرار الضائعة .

المرأة : ليس في نيتي أن أغبنك حقك يا صاحب السعادة ، لأن طيبتك وكرمك معروفان لدى الجميع .

الضابط السمين : (يحاول الاقتراب منها ، ولكنها تتحاشاه بلطف) من الأفضل إذن أن تخاطبي طيبتي بدلا من مخاطبة عقلي . سأصرف النظر عن الخسارة التي يسببها لي تأخرك في الدفع . ولنحاول بدلا من ذلك أن نتفق على ثمن طيبتي وكرمي .

المرأة : (وهي تتخلص منه) أرجوك يا صاحب السعادة أن تمهلنا شهرا آخر لنتمكن من تسديد الدين ، وذلك حتى يرجع زوجي إلى عقله .

الضابط السمين : سوف يسعدني حتى ذلك الحين أن أتفاهم معك في كوخك على هذه الصفقة يا سيدتي العزيزة .

المرأة : أنت إنسان طيب القلب يا سيد تشانج كو - تونج . لابد أن أخبر زوجي عن المفاوضات التي دارت بيننا عن المبلغ المتأخر .

الضابط النحيف : انصت يا هسوى لى لتعرف إن كانت تقول الحقيقة !

(يقف الرجل ويتقدم ببطء نحو الكوخ)

المـــــــــــرأة : أنا لا أتكلم معكم إلا لأننى أفهم أكثر منه فى أمور الزيت والتموين .

الضابط السمين : أنت امرأة ذكية يا فان شين - تينج .

المـــــــــــرأة : لولا الذكاء لمات الإنسان كما يموت الحيوان فى جحره يا صاحب السعادة . وكل شىء وله ظروفه ، ولكل شىء أوانه .

الضابط النحيف : (يتدخل فى الحديث وينادى بصوت حاد) ولكن ربما لم تكونى ذكية بما فيه الكفاية ؟

المـــــــــــرأة : (فى خضوع للضابط النحيف) أنا لا أجرؤ أن أقيس ذكائى بذكائكم يا صاحب السعادة . ولكن ذكائى قوى لمجرد أن الحقيقة فى جانبه .

الضابط النحيف : ألم تتلقى هدايا من تاجر الزيت شانج كو - تونج ؟

المـــــــــــرأة : لا أذكر يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : فكرى جيداً . فربما حرصت على أن يحضر معه بعض الهدايا التى لا تحبين أن تطلعى زوجك عليها .

المـــــــــــرأة : بدأت أخاف من ذكـائكم يا صاحب السعـادة . ماذا تقصدون بسؤالكم هذا ؟

الضابط النحيف : إثبات إدانتك يا امـرأة ، يا من تركها زوجـها وذهب مع الجنود . متى تركك إذن ؟

المـــــــــــرأة : قبل حلول الصيف يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : تركك وذهب بعيدا - وها هو ذا يرجع إليك . (يريها التميمة) .

المـــــــــــرأة : (تصاب بالرعب . تتعرف على التميمة التى كان يحملها زوجها فى اللوح المعدنى ، ولكنها تحاول أن تسيطر على نفسها) لا أفهم قـصد سيادتكم .

الضابط النحيف : هل تعرفين هذه التميمة ؟

المـــــــــــرأة : لا ياصاحب السعادة .

الضابط النحيف : انصت جيدا يا هسوى لى !

المـــــــــــرأة : إذا كنتُ لم أفقدها ، فكيف أتعرف عليها ؟

الضابط النحيف : أصدرنا الأوامـر بتفـتيش ملابس الجنـود الذين ماتوا دفاعـا عن البوابـة الجنوبية . وقـد عثـر عليهـا أحد الجنود وأحضرها الآن .

المـــــــــــرأة : لاشك أنـه كـان جندياً شجاعا وسقـط فـى المعركـة

(منفجرة) هسوى لى ! لماذا ذهبتَ وتركتنى !

الضابط النحيف : ماذا قلت ؟

المـــــــــــرأة : ليرقد الموتى فى سلام وهدوء .

الضابط النحيف : ولكن واحدا منهم يمكنه أن يزعج هدوءك .

المـــــــــــرأة : إنهم لا ينتقمون ممن يتمنون لهم الحياة .

الضابط النحيف : اقرئى المكتوب على اللوح المعدنى .

المـــــــــــرأة : (متهربة منه) تصعب علىّ القراءة يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : ولكنك قرأته من قبل ، أليس كذلك ؟

المـــــــــــرأة : (متلعثمة) لا أذكر يا صاحب السعادة .

الضابط النحيف : مادمت لا تريدين قراءته فسـوف أتلو عليك ما كتب

عليه (للرجل) استمع يا زوج هذه المرأة التى تقف هنا

أسفل السور (يقرا) " هذه التميمة هدية من فان شين

تينج لزوجهـا هـسوى لى ، رمز الوفاء يوم زفـافها "

لقد أخذناها من هسوى لى .

(يلقى التميمة على الأرض لترفعها المرأة)

المـــــــــــرأة :(تتحكم فى أعصابها) ليتك تترك الموتى فى سلام يا صاحب

السعادة .

الضابط النحيف : (منحنيا للأمام) دموع يا امرأة ؟

المـــــــــــرأة : أنا لا أعرف الرجل المسكين الذى يرقد مع موتاكم .
فلماذا أذرف الدموع ؟

الضابط النحيف : (للرجل) سمعت ؟

الضابط السمين : أبدعت فى التمـثيل يا امـرأة . إذا كان الجندى الميت
هو زوجك الشرعى ، وهـذا هو الزوج المزيف - فلا
عـجب أن يخـاف المزيف على نفـسـه منك - لقـد
أبدعت حقا فى التمثيل .

المـــــــــــرأة : إننى أحب زوجى هـســوى لى الذى يختـبىء بين
أحراش الغاب . أتوسل إليكما يا صاحبى السعادة أن
تتـركاه يرجـع معى . فـالمثل يقـول : الرجل والمرأة
كالسماء والأرض . . هسوى لى ، تعال إلى !

الضابط النحيف : (للرجل) هل سمعتها ؟

الـــــرجــــــل : (غاضبا) أجل . زوجك مات . أصابه سهم فى عينه !

الضابط النحيف : انتظر أيهـا الجندى ! الآن فـضـحـت نفـسـك ! لقـد
عـرفت زوج هذه المرأة ، وكنـت صـديقـه ، وكنت
بجانبه على السور عندما أصابه السهم . ثم تصورت
أن فى إمكانك أن تحلّ محله .

الرجل : (مرعوبا) يا حضرات الضباط . نحن لم نخلع بعد خوذاتنا ودروعنا . وأنا لم أعرفه . الغضب وحده هو الذى جعلنى أتهم زوجتى .

المرأة : كان دائما غيورا علىّ يا صاحبى السعادة . أما السيد شانج كو - تونج فكان رجلا نبيلا ، كما أكدت لكم هذا من قبل . اسمعوا ماذا قلت له :

(يتقدم الضابط السمين لتمثيل دور تاجر الزيت)

خيرا فعلتم برجوعكم إلى هنا يا سيد شانج كو - تونج ، لأن أحوالنا سيئة . أنا مضطرة للتوسل إليك بأن لاتطالبنا بتسديد الدين قبل شهرين . وإلا عجزنا عن البقاء فى كوخنا .

الضابط السمين : السيدة فان شين - تينج تتفنن فى تقديم توسلاتها بطريقة آسرة .

المرأة : وأين نجد مأوى لنا ؟ فى الحقول تغرقنا أمطار الربيع ، فى القرية يهزأ بنا كل من له سقف يظله ، وفى الشارع يجرنا الجنود معهم ، ونحن لا نطلب إلا أن نبقى معا فى كوخنا .

الضابط السمين : أين زوجك يا فان شين تينج ؟

المـــــــــــــرأة : هناك وسط أحراش الغاب - غير بعيد عن هنا .

الضابط السمين : ألن يحضر الآن ؟

المـــــــــــــرأة : لقـد أخذ سكينًـا معـه ، ليقـطع أعواد الغـاب التى سيصنع منها الحصر .

الضابط النحيف : ماذا تفعل يا رجل ؟

الـــــرجــــــل : فى الوقت الذى أجلـس فـيه هـنا ينمـو الغـاب من حـولى ويتكاثف ، لأننى غـرست سكينى فى فـرع شـجرة ، إننى لا أفـعل شيـئا . كل مـا هناك أننى أسمع من بعيد صـوت تاجر الزيت شانج كو - تونج وهو صـوت مهـذب ودود ، يعبـر عن أدب عمـره ثلاثة آلاف سنة ، مستمد من كتب الحكمة القديمة . ولكن ماذا أفعل بهذا الأدب هنا وسط أحراش الغاب ، إن مـا يحــدث وراء أذنى يعـذبـنى . فـأنــا أكـره المعروف الذى يقيـدنى فى الأغلال . وإذا وافق تاجر الزيت شانج كو - تونج أن يمهلنا كـرمه شهرا فلابد أن يفكر فـيه كـلانا لمدة شهـر . وإذا شاء كـرمه أن

يمهلنا شــهرين ، فلن نستطيع أن نتـحدث عن شىء
غيره طوال شهرين . أما إذا أعـفانا بفضل طيبته من
ديننا كله إلى الأبد ، فـسـيكون ذلك وقتـا طويلاً -
وعندئذ . . . عندئذ . . . .

الضابط السمين : الواقع أنه يسـتحـيل علىَّ أن أطالب بالدين وأنا أرى
أمامى كل هذه السعادة .

(يريد أن يقترب منها)

المـــــــــــرأة : (مبتعدة عنه) أشكركم يا سيد شانج كو - تونج .

الضابط السمين : متى يرجع زوجكم ؟

المـــــــــــرأة : فى المساء .

الضابط النحيف : (للرجل بلهجة حادة) هكذا تبدو سعادتك يا جندى ! اقفز
عليه . اقفز عليه !

(يقفز الـرجـل مندفعا مـن مخبئه ' ويطعن تاجر الزيت بالـسكيـن فيرديه
قتـيلا ' الضابط السـمين ينهض واقفـا على قدميـه ، بعد أن أرداه الرجل ،
ويرجع إلى مكانه وهو يضحك) .

المـــــــــــرأة : ماذا فعلت يا رجل ؟ قتلت السـيد شانج كو - تونج
الذى لم يقدم لنا إلا الخير . كيف سيكون مصيرنا ؟

أطلت الجلوس وسط الأحراش وأدمنت التفكير حتى
اختل عقلك . هأنذا أسمع خطواتك وهم يلاحقونك
- من يحميك ؟ وإلى أين تهرب ؟

الـــــــرجــــــل : لن أبقى هنا .

المــــــــــــرأة : فى الحـقـول سيـطاردونك بكلابهم . وفى الشـارع
سيجرك الجنود معهم .

الـــــــرجــــــل : أريد أن أذهب - أن أفر .

المــــــــــــرأة : انصت . إننى أسمعهم قادمين . الشرطة فى الطريق .
سأقف أمام الباب وتختـفى أنت وراءه . سأتكلم مع
رجال الشـرطة الذين جاءوا للقـبض عليك (للضابطين)
هـذا هـو الـذى حدث بالضبط يا صاحبى السعادة ،
يا حضرات الضباط .

(تشد الرجل إلى المخبأ وراء الباب الذى تقف أمامه)

أنتم يامن هناك ! لا تندفعوا بهذه السرعة ! لا تسيئوا
الأدب ! أهكذا يدخل الإنسان بيـتا غريبـا ؟ ثم ماذا
تتشمـمون حولكم ؟ لعلكم تريدون صـحفة من لبن
الماعز - أو نصف دجاجة ؟ لن تجدوا شـيئا . ابحثوا

فى بيوت الأغنياء ! لا ، لن أبتعد عن الباب - نحن فقراء يا حضرات السادة - لن تجدوا لدينا غير كيس محشو بقش الذرة والبراغيث إذا أردتم أن تستريحوا ، وشربة الكرنب المملحة إذا شعرتم بالجوع ، وهذا الباب لتخرجوا منه إذا تكرمتم بالانصراف ، وعندئذ لن ألوح لكم مودعة ، لا - لن أترككم تدخلون من هذ الباب الذى أقف أمامه . إنكم تفتشون عن زوجى ، ماذا فعل لكم إذن ؟ هل سرق شيئا ؟ هل سكر وأثار الضجيج ؟ - أم تراه استهزأ بكم ؟ لا أستبعد أن يكون قد فعل هذا . فلتعف الآلهة عنه - لا - قلت لن تدخلوا . وزوجى لن تأخذوه . لن أسمح لكم بهذا .

(فى هذه الأثناء يفتح رجال الشرطة المتخيَّلون الباب - المتخيل أيضا - بعنف شديد ويزيحون المرأة جانبا . تستدير المرأة وتبحث وراء الباب فتكتشف أن الرجل قد اختفى .

ضحكات عالية تصدر من الضباط والجنود الواقفين فوق السور) .

الضابط النحيف : أين زوجك يا امرأة ؟

الضابط السمين : أرأيت كيف هرب بجلده ؟

الضابط النحيف : لقد اختفى وراء السور .

الضابط السمين : ويعجبه الحال هناك أكثرمن هنا .

الضابط السمين : لن يرجع يا امرأة . انصرفى الى بيتك !

الضابط النحيف : ننصحك شفقة عليك ، انصرفى إلى بيتك . لقد خسرت اللعبة .

الضابط السمين : ألم يذهب زوجك الأول أيضا باختياره ؟

الضابط النحيف : ألم تستردى لوحك المعدنى الجميل أيضا كما تقضى اللياقة ؟ اذهبى إذن ؟ اذهبى إلى قريتك وفرجى الغسالات عليه .

المـــرأة : (يائسة) هسوى لى ! هسوى لى !

(الجنود الواقفون فوق السور يضحكون ضحكات عالية) أين القيصر ؟

الضابط النحيف : لقد استمتع القيصر بالتمثيل. ولكنه انصرف منذ قليل

المـــرأة : (فى غضب يزداد توحشا) انصرف منذ قليل ؟ دخل مخدعه لينام ؟ وإذا صرخت ، ألن يوقظه صراخى ؟

أيهـا القيـصر ! أيها الـقيـصر ! اسـتمع إلـىّ أيهـا القيصـر ! تكلم ! هل تألمت لسوء حالى ؟ لقد رأيت كل شيء ثم ذهبت بغير كلمة واحدة . إننى أكرهك ، ينبـغى أن تسقط من على عـرشك . وتسقط مـعك قشور الـسمك الذهبية التى تلتف بهـا . ما أنت إلا بعبع وهمى . وأنا أغـرق فى الضحك عندمـا تسيل نشارة الخشب مـن رأسـك المكسور . وأنتـم ، يـا حضرات الضبـاط جميعاً ، ما هذه الأمـاكن الفخمة التى حجزتموها لأنفـسكم فوق السور ؟ إلى أى مدى يمكنكم أن تمـدوا أبصـاركم إلى القـرى والنجـوع ؟ يالبـراعتكم فى الكـلام ! خذوا راحـتكم فى الكلام عنى . بـل توقـفوا . إننـى أهزأ بكم . لن أستـمع إليكم . سأهتف فى كل مكان : لا تستمعوا للأغبياء فوق السـور . هنا على الأرض مكانى . أنا لا أنظر بعيدا . لا أسمع أكثر مما يقوله الجيران . ولست أكثر ذكاء من مـعلمى . ولكننى أعـيش . أعيش . وإذا كنت قد فشلت فى حياتى ، فمن المسئول ؟

(تستطرد بعد انصراف الضباط) هل تعرفونه ؟ لا ،
لا أقصدكم ؛ لأن مكانكم هناك فى مهب الريح .
إننى أضحك على نفختكم الكذابة . على أناقتكم
وزينتكم . فخامتكم وسمتكم كالديوك المخصية .
والطريقة التى تتكلمون بها ؟ كلام معسول -
وهباء . ماذا فعلت إذن ؟ تعبت وشقيت لأكون
امرأة صالحة خيرة . فلم تكن النتيجة إلا الشر
والفساد . أليس كذلك ؟ أردت أن أعيش مع زوجى
فى أمان . تعب وشقى بقدر طاقته - لكنه ذهب -
لماذا ؟ هل تعرف قوانينكم سبب ذلك ؟ أتستطيع
عدالتكم أو طيبتكم أن تخبرنى ؟ أيها النواطير . إننى
أضحك كلما رأيتكم تفغرون أفواهكم . - أين ذهب
الرجل إذن ؟ هسوى لى ! اسمعنى ! اخرج من
مخبئك ! لن يأتى زوجى لن يأتى . لقد مات .
حجرا صار ، كومة تراب ، زوجى مات ، هسوى لى
لن يأتى ، لقد ذهب باختياره . وأنت ذهبت أيضا ،
أيها الجبان ، أيها الخامل الكسول . أيها البهيم
العقيم . اذهب إلى القتلة ، فما أنت إلا واحد منهم

هل تصورت أننى سأبكى عليك ؟ لا تستسلم للأوهام . سأعبىء الكوخ بالدخان لتخرج منه رائحتك النتنة . ليتحول العالم كله إلى دخان يفترس الأعين ، حتى يتخلص من نتن هذا الرجل - أنتم يامن فوق السور ! أيها المطرزون بالذهب - يا أصحاب القوانين الجميلة والحكمة الجميلة والأخلاق الجميلة - لم لا تفسرون لى السبب فى انتشار العفن الفظيع فى العالم كله ؟ إنكم تشمخون بأنوفكم فى الأعالى وتشمون مالا أشمه ، ولابد أنكم تعرفون السبب ، أف أيتها الجثة النتنة العفنة المخضرة التى يلتهمها الدود ، إننى أسد أنفى وأبصق عليك (تتجه إلى السور) دعونى أدخل ! افسحوا لى الطريق ! وأنت أيها السور ، أيها السور السميك ، ابتعد ! ابتعد ! أيها السور السميك العظيم القديم الغبى ! أنا فان شين - تينج أقف هنا تحتك . لا أريد أن أبقى واقفة فى مكانى أريد أن أخترقك وأنفذ فيك . سأظل ألطمك برأسى حتى تتهدم يامن أكرهك أشد الكراهية . ما الذى يمنع أن أعيش مع

الرجل أيها السور ؟ ولماذا ذهب ؟ لماذا لا يفهم بعضنا بعضا ، ولماذا تقف هنا أيها السور ؟ ولماذا أنا هنا بينما الرجل على الجانب الآخر ؟ لماذا خلت جميع القوانين من كل قيمة ؟ وتجردت كل النوايا الطيبة من أى قيمة ؟ لماذا أصبح الأمل كله عدما ، والحنان عدما ، والذكاء عدما ، والحب عدما ، عدما ، عدما أجبنى على سؤالى ! لماذا تقف هنا أيها السور ؟ لا تلذ بالصمت ! لماذا تقف هنا ؟ أجبنى ! أجبنى ! (تدق على السور بغضب جنونى) إننى أكرهك . أبصق عليك . أضحك عليك . ألعنك . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا . أنا .

(يدخل أحد الجنود المكلفين بالحراسة ووجهه مغطى بقناع ، ولكننا نعرف من صوته أنه هو نفسه الرجل الذى أراد قبل ذلك أن يذهب معها . لقد عاد إلى جموده وبروده ، وتجرد من السمات الشخصية ومن كل تعاطف أو انفعال) يلكز المرأة بحربته ويقول :

الجندى : اذهبى ! لن يسمعك أحد !

(تقشعر المرأة فزعا وتحدق فيه)

(ستار)

تانكريد دورست

فرناندو كراب أرسل إليّ هذا الخطاب

(محاولة للكشف عن الحقيقة)

(عن قصة للفيلسوف والشاعر الإسبانى)

ميجيل دى أونامونو (١٨٦٤ - ١٩٣٦)

(بعنوان : رجل لا ينقصه إلا كمال الرجولة)

وكتبت المسرحية بالتعاون مع

أورزولا ايلر

صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٩٢

عن دار النشر زور كامب بمدينة فرانكفورت (على نهر الماين)

الشخصيات

- فرناندو كراب
- جوليا
- الأب
- الدوق
- طبيبان للأمراض العقلية والنفسية .

- ١ -

(جوليا . الأب)

جـــوليـــا : فرناندو كراب أرسل إلىّ هذا الخطاب .

(تمد يدها بالخطاب لأبيها)

الأب : (يتصنع الدهشة) : هكذا ؟

جـــوليـــا : اقرأه .

الأب : وما الذى قلته رداً عليه ؟

جـــوليـــا : (نافدة الصبر) قلت لك اقرأه .

الأب : إنه رجل يتقرّب منه الجميع ، والجميع يتكلمون عنه فى كل مكان منذ أن رجع من أمريكا ومعه هذه الثروة الضخمة . كم من فتاة فى ربيع العمر سيسعدها أن تتلقى منه خطابا ، كلهن بلا استثناء .

جـــوليـــا : اقرأه .

الأب : آه . الخطاب موجه لك أنت ، يكفى أن تذكرى لى ما جاء فيه ، لقد قرأته بالفعل .

جـــوليـــا : إنه خطاب قصير .

الأب : وهو لا يلف ولا يدور . شخصية قوية حازمة . يمكننى أن ألاحظ هذا من خطه .

جـــوليـــا (تقرأ عليه) آنستى الكريمة . . .

الأب : " آنستى الكريمة " ، أهذا ما كتبه ؟ بلا لف ولا دوران . لا ديباجة ولا عبارات طنانة .

جـــوليـــا : (تواصل القراءة) " سمـعت أنك أجمل امـرأة فى المدينة التى استقر بى المقام فيها منذ فترة قصيرة ، وقد رأيتك عندما كنت تتمشين مع أبيك فى المتنزه "

الأب : آه . هل رآنا هناك ؟

جـــوليـــا : (مستمرة فى القراءة) ما سمـعته صحيح بـالفعل . فأنت أجمل الجميلات . سوف أتزوجك ، فرناندو كراب "

الأب : إنه ينطلق مباشرة إلى هدفه . شخصية حازمة .

جـــوليـــا : كم لبثنا يوم السبت فى المتنزه ؟

الأب : آه . لا أذكر .

جـــوليـــا : أبديت رغـبتى فى الرجـوع للبـيت ، لكننى اضطررت لقطع الطريق الواسع المحفوف بالأشـجار مرتين . أنت الذى فرضت علىّ هذا .

الأب : معلوم أن الهـواء المنعش مفيد للصحـة . إنك تلازمين البيت كثيرا ، تقرأين وتسرحين مع خيالاتك .

جـــوليـــا : اتفقت معه على كل شىء .

(تقذف الخطاب فى وجهه)

الأب : أرجوك يا جوليـا ، أرجوك يا حبيبتى ، أخـبرينى ماذا قلت فى ردك عليه ؟

جـــوليـــا : ها .

الأب : لا أعتقد أنك قلت له " ها " . فأنا أعرف أنك بارعة فى كتابة الخطابات وخيالك خصب .

جـــوليــــا : سأسمعك ما قلته لفرناندو كراب : " سيدى ، فهمت من خطابك أنك اشـتريتـنى من أبى . كم طلب منك مـقـابل كل رطل من لحـمى ؟ مـا ثمن كل كـيلو من وزنى الحى ؟ وهل وافـقت علـى السـعـر المطلوب أم حاولت أن تساوم عليه ؟ إننى أتصور الآن كيف تقلص وجه أبى من شـدة القلق وكيف ارتعشت شفـتاه ، ألم تسقط كـذلك دمعة على خدّه المزرق العـروق ، لمجرد أنك ترددت فى دفع الثـمن المطلوب ؟ ولكنك تعلم أن الرجل المسكين فى قـبضـتك ، وأن الديون التى تثـقل كتفيه تجبره على بيع السلعة بأى ثمن " .

الأب : (متأوها) أنت تمزحين يا جوليا ، أنت تمزحين .

جـــوليــــا : " أم تراك لمحت ابتسـامة عـارضة على وجهـى عندما كنت تراقبنى ، فدفعك هذا لأن تضيف بمحض رغبتك بضعـة آلاف أخرى إلى المبلغ المطلـوب ؟ أؤكد لك يا سيدى أن أسنانى منتظمة وأن شحمتى أذنىّ جميلتان ، ناهيك عن أمور أخرى لا تـسـمح آداب اللياقة بالكشف عنها . ولكنى أنصحك إذا حـضرت إلى بيت البائع ، وهو أبى ، بأن تدقق فى فـحص السلعة قبل تـسـجيل المبلغ النهائى فى عقد البيع " .

الأب : (مفزوعا) جوليا .

جـــوليــــا : ألا يعبر هذا عن رأيك يا أبى ؟ لقد تصورت هذا .

الأب : أنت قاسية القلب ، تسخرين من خدىَّ المنتفختين بالعروق الزرقاء . . . أنا الذى أقترب من الموت ، أجل من الموت ، من شدة قلقى عليك .

جوليا : لا تتأوه من فضلك وإلا انتابنى الصداع واسودت الحلقات تحت عينى . ربما يبخس هذا من السحر المطلوب .

الأب : يا طفلتى المسكينة . . من المفروض أن تدركى الخطر الذى يمكن أن تتعرضى له إذا لم أهتم بمستقبلك . صحيح أن جمالك يشبه جمال فكرة من أفكار الرب ، أجل إلى هذا الحد وصل جمالك ، ولكن رأسك مزدحم بالأفكار الغريبة التى تقلقنى . إنك تصدمين الناس وتلطمين وجوههم بمثل هذه التهيؤات العجيبة .

جوليا : التهيؤات ؟

الأب : هل يعقل أن ترد امرأة بمثل هذه الحماقات على طلب الزواج من رجل ثرى ومرموق كهذا الرجل ؟ لابد أن أبذل غاية جهدى لإعادة الأمور إلى نصابها .

جوليا : لست ملزما بهذا .

الأب : تهيؤات عجيبة . طالب مسكين لا يحتكم على شىء وليس له أى قيمة ، طالب لا تكادين تعرفينه ومع ذلك تطلبين منه ببساطة أن يخطفك . ألا يحق لى أن أصف هذا التصرف بأنه شىء عجيب ؟ أما هو فيستولى عليه

الفزع ويقـول : نعم . أنا تحت أمرك ، سـأخطفك .
ولكن من أين نعيش ؟ وأنت ؟ ماذا كان ردك عليه ؟

جـــوليــــا : وماذا كان ردى ؟

الأب : قلت له : لننتحر معا .

جـــوليــــا : يستحيل عليك أن تعرف ما قلت .

الأب : بل أعـرف ، وكل الناس تعـرف . لقـد حكى الحكاية
لكل من هب ودب ، هـذا الشـاب البـائس المشـوش
العقـل . المدينة كلها تعـرف هذا . ثم إنه لم يرجع .
لابد أنه قال لنفسه : لا أريد أن أموت .

جـــوليــــا : ثرثار غبى .

الأب : اسمـعينى يـا حـبيـبتى . أين هـو الإنسـان الذى يريد
الموت ؟ لا أحـد يريده ، ولا أنا أيضـا ، فكل إنسـان
يبـحث عن حظه فى الحـياة ويتلهف عـلى نسمـة من
السعـادة . انظرى إلى أبيك العـجوز . إنه يضحك ،
لا يتخلى عن التمسك بالأمل ، رغـم أنه ، وهذا تعبير
مـخـفـف ، لا يحـتكم على شـىء ، على الأقل فى
الوقت الحاضر .

(يطرقع بأصابعه ويضحك بمرارة)

جـــوليــــا : كف عن هذه الطرقعة !

الأب : حقـا . إننى أطرقع بأصابعى . إنها عـادة سخيـفة لو
صرف فرناندو كراب نظره عن الموضوع ، لو فعل هذا
بسبب خطابك المخزى فسوف أشنق نفسى . (ينصرف)

(جوليا . فرناندو كراب)

فرناندو كراب : (يدخل) لقد أرسلت إلىّ خطابك ، وأعجبت به إعجابا شديداً .

جـــوليـــا : لم يكن هذا هو الهدف منه .

فرناندو كراب : أرى من هذا الخطاب أننا ستتفاهم على أحسن وجه .

جـــوليـــا : ولكن خطابك لم يعجبنى .

فرناندو كراب : من المعروف لدى الجميع أن فرناندو كراب يحصل على كل مـا يريده . أنت أجـمل امـرأة فـى المدينة ، وربما كنت أجمل امـرأة فى البلد كلها . أريد أن أتزوجك . وهأنذا . (تبقى جوليا صامته لا تتحرك)

فرناندو كراب : (يبدو أن صـمـتـها أثار القلق فى نفـسه . يتـجه نحـوها بعد فتـرة من الوقت يتفحصها بنظراته ، ثم يقول بلهجة موضوعية جافة) ألست بخير ؟

جـــوليـــا : أجل بخير . . . كل شىء على ما يرام .

فرناندو كراب : ولكنك ترتجفين . يبدو لى هذا .

جـــوليـــا : الدنيا برد . . الجو هنا يميل للبرودة .

فرناندو كراب أنت مخطئة . إنه دافىء .

جـــوليـــا : حقا ؟

فرناندو كراب : أنت ترتجفين من القلق .

جـــوليـــا : ومم القلق إذن ؟

فرناندو كراب : متى ؟

جـــوليـــا : ولماذا أقلق منك ؟ لا . قطعاً لا !

فرناندو كراب : بل تشعرين بالقلق منى (تنفجر جوليا باكية . يتطلع فرناندو كراب إليها بهدوء ثم يقول) هل تتصورين أننى وحش ؟ ابعدى يديك عن وجهك ! انظرى إلىّ ! - إن أعدائى فقط هم الذين يخشوننى .

جـــوليـــا : إننى أعرض للبيع !

فرناندو كراب : هكذا ؟ ومن قال هذا ؟

جـــوليـــا : أنا التى أقوله ! - وماذا يملك أبى المسكين - إنه مفلس ولابد أن يدخل السجن . ولكن قبل أن تقبض الشرطة عليه ، قبل أن يسحبوه والقيود الحديدية فى يديه أمام صفوف المتطفلين والشامتين ، قبل أن يحدث له هذا سيشنق نفسه . أنا واثقة من هذا .

فرناندو كراب : لا داعى لكل هذا .

جـــوليـــا : أنت بأموالك الطائلة . . أموالك التى تعرضها فى كل مكان ! تفتح محفظتك ، وتلوح بالأوراق النقدية ، وتقذف بها من الشرفة على رؤوس الناس لكى يحنوا ظهورهم ويزحفوا على الأرض لالتقاط ورقة واحدة من الوحل .

فرناندو كراب : أبوك كان منشرحاً وفى أحسن حال . لقد رتبت كل شىء ودفعت كل شىء .

جـــوليـــا : دفعت كل شىء ؟

فرناندو كراب : أجل . كم كان المبلغ ؟ لقد نسيت .

جـــوليـــا : معنى هذا أنك اشتريتنا بالـفعل ، معناه أننا نعيش الآن من مالك ؟ أليس كذلك ؟

(تنزع الشال من حول رقبتها)

وهذا الشـال الذى أحضـره أبى أمس وأعطاه لى ، ألم تشتره أيضا من مالك ؟ والحـذاء ؟ حتـى الحذاء أيضا !

(تخلع حذاءها وتقذف به رأس فرناندو كراب)

فرناندو كراب : ألاحظ الآن يا جوليا أن قدميك جميلتان جدا . .

جـــوليـــا : لن تحصل علىّ أبدا . أبدا . أبدا ! إلا إذا مت .

فرناندو كراب : ولكنك تحبيننى يا جوليـا . أنت تحبيننى الآن بالفعل ! ولهذا ستتزوجينى .

جـــوليـــا : باعنى ! واشتريتنى !

فرناندو كراب : تتصورين أننى أملك المال ، وأنك أنت السلعة .

جـــوليـــا : (صارخة) أجل ! أجل !

فرناندو كراب : أنا لم أعـرض علـى أبيك أى شـروط عنـدمـا سلمتـه المـال . لم أطالب بأى شىء . أترفـضين أن تحـبينى ؟ ولكن هذا مـستحـيل . مســتحيل أن يـرفض حبى أى إنسان .

(صمت طويل . جوليا تبكى . صمت)

جـــوليـــا : (تهمس فى صوت خائف) افعل معى ما تشاء .

فرناندو كراب : ما الذى تقصدين بهذا ؟ ماذا تعنين ؟

جـــوليـــا : لا أدرى ، لا أدرى ماذا أقول .

فرناندو كراب : وما معنى أن أفعل معك ما أريد ؟

جـــوليـــا : معناه .. لا أدرى ..

فرناندو كراب : أنا لا أشــترى عــاهرة مـن الشــارع . بيع وشــراء ! - هـراء ! إنه زواج عـن حب . أنـت تحـبيننى ، ولـهذا تبكين ! لقد بدأت تفهمين .

جـــوليـــا : وقَبِلت الزواج منه ..

- ٣ -

(جوليا . فرناندو كراب)

جـــوليـــا : أى نوع من الرجال أنت ؟

فرناندو كراب : وماذا عسى أن أكون ؟ أنا هو أنا ، فرناندو كراب .

جـــوليـــا : هذا مـا تقـوله دائمـا . لم أسـمـعك أبـدا تتكلم عن طفولتك . ولا أعرف أى شىء عن والديك .

فرناندو كراب : ليس لى والدان . فعائلتى تبدأ بى . وأنا الذى صنعت نفسى بنفسى .

جـــوليـــا : انظر إلى يدى .

فرناندو كراب : أصابع رقيقة ورشيقة .

جـــوليـــا : لقد ورثتها عن أمى .

فرناندو كراب : وأحيانا تتـقلص فجأة وتتحـول إلى قبضتين صـغيرتين قاسيتين غاضبتين . هذا شىء يمتعنى ويسلينى . .

جـــوليـــا : صحيح . فعندما أفكر فى شىء تنقبض يدى .

فرناندو كراب : وقـبل أن تدخلى حـجرتى لا تطـرقين البـاب بعظمـة إصبعك كما يفعل غيرك ، وإنما تخبطين بأظافرك على الخشب .

جـــوليـــا : مثل جدتى تماما . كـانت هـذه هـى عادتها . والأنف الجميل ورثته عـن أبى .

فرناندو كراب : هذا شىء لا يهمنى . إنه جميل ، لانظير له .

جـــوليـــا : والخيـال ورثته عن أمـى . فالاستـمتـاع بالانطلاق مع الخيـال شىء مألوف فى عـائلتها . يـحكى عن إحدى خالاتى أنهـا لم تضع قدمـها أبدا على عتـبة بيتـها . كانت تقول باستمرار : لماذا أغادر بيتى مادمت أستطيع أن أتصـور كـل شـىء فـى رأسـى ؟ إن هـذا أمـتـع بكثـيـر . وممن ورثت أنفك يا فـرناندو ، وهذا الذقن المشقوق الذى يعجبنى ؟

فرناندو كراب : يعجبك ؟

جـــوليـــا : ألا تتذكر شيئا عن طفولتك ؟

فرناندو كراب : الطفولة لا تعنينى . أنا من أريد أن أكونه . (صمت)

جـــوليـــا : (بحـذر) أود أن أسـألك عن شىء آخـر يا فـرناندو . ولكنى لا أجد فى نفسى الشجاعة .

فرناندو كراب : وما الذى يمنعك من السـؤال ؟ أنا لن أفترسك . ولم أشعر أبدا من كلامك بأنك جرحتنى مرة واحدة . أنت تعرفين هذا بالطبع .

جـــوليـــا : أنا لا أشكو من شىء .

فرناندو كراب : لم يبق إلا أن تشكى أيضا !

جـــوليـــا : لا . أنا لا أشكو من أى شىء . . . لكن . .

فرناندو كراب : هيا اسألى وخلصينى !

جـــوليـــا : الأفضل أن لا أسأل . . .

فرناندو كراب : قلت لك اسألى . أنا أريد أن تسألى .

جـــوليـــا : مادمت مصرا فسوف أسأل : هل صحيح أنك كنت متزوجا ؟

فرناندو كراب : (يقطب جبينه) أجل .

جـــوليـــا : وزوجتك الأولى ؟

فرناندو كراب : ماتت من سنوات طويلة . كنت أرملا عندما تزوجتك (متشككا) هل حكى لك أحد عن شيء ؟

جـــوليـــا : كلا ، ولكن .... لا ، لا شيء .

فرناندو كراب : سمعت شيئا مما يحكونه - تكلمي إذن !

جـــوليـــا : أجل سمعت شيئا محددا .

فرناندو كراب : وصدقته ؟

جـــوليـــا : قطعا لا . لم أصدقه .

فرناندو كراب : هذا أمر طبيعي ! فلم يكن ذلك من حقك ! لم يكن في إمكانك !

جـــوليـــا : لا . بالطبع لا . لم أصدق أبدا .

فرناندو كراب : قلت لك هذا أمر طبيعي . فمن يحبني كل هذا الحب ويكون لي أنا وحدي لا يمكنه أن يصدق هذه الكذبة الفظيعة .

جـــوليـــا : نعم . إنني أحبك - لا أتمنى سوى شيء واحد .

فرناندو كراب : تمنى كل شيء .

جـــوليـــا : آه ليتك قلتها لي مرة واحدة .

فرناندو كراب : " يا حبيبة قلبي ، يا كنزي الصغير ، يا حلوتي ، يا أعز الناس عندي ... " هل يفترض مني أن أقول

شيئًا كهذا ؟ مثل هذه الكلـمات الضحلة الحمقاء ؟ إنها لا توجد إلا فى الروايات ، وأنا أعلم أنك كنت مغرمة بقراءة الكتب .

جـــوليـــا : ومازلت أقرأها بشغف . .

فرناندو كراب : اقرأى كما تشائين ! اقرأى ما يحلو لك ! سوف أصدر أوامـرى ببناء كـشك فى طرف الحـديقـة بالقـرب من شجـيرات الورد . وسوف أحضـر لك كل الكتب التى ألفت منذ عهد آدم وحواء !

جـــوليـــا : ما أجمل هذا !

فرناندو كراب : كلمـا قلل الناس من كـلامهم عن الحب ، كـان ذلك أفضل بكثير .

جـــوليـــا : آه يا فرناندو .

فرناندو كراب : ما الذى حكوه لـك ؟ هل قالوا إننى فى شبـابى كنت متزوجا فى المكسيك . .

جـــوليـــا : وكيف كان منظرها يا ترى ؟

فرناندو كراب : من امرأة ثرية جداً وأكبـر منى فى الـسن ، من مليونيرة عجوز ؟ أهذا ما قالوه ؟

جـــوليـــا : أجل . .

فرناندو كراب : وقالوا لك إيضا إننى أجبرتها على كـتابة وصيتها وعلى تعيينى الوريث الوحيد لها ، وإننى قتلتها بعد ذلك . . هل قالوا لك شيئا كهذا ؟

جـــوليـــا : زعموا أنك خنقتها فى الفراش . بل ادعوا أنك خنقتها بقبعتك .

فرناندو كراب : وصدقت ما قالوه ؟

جـــوليـــا : كلا ! أبدا . أبدا !

فرناندو كراب : بقبعتى ! بقبعتى ! (يهز قبعته وهو يلوح بها)

جـــوليـــا : لا أتصور أبدا أنك يمكن أن تقتل زوجتك .

فرناندو كراب : أرى الآن أنك أذكى مما تخيلت . وما الذى يدعونى لقتل زوجتى ، وهى شىء أملكه ؟

جـــوليـــا : (تكرر فى جمود) " وما الذى يدعونى لـقتل زوجتى وهى شىء أملكه ؟ "

فرناندو كراب : هل أنت ببغاء ؟ لماذا تكررين ما أقول ؟

جـــوليـــا : لا أدرى .

فرناندو كراب : وما الذى يحملنى على هذا ؟ كانت ثروتها تحت يدى ، ومناجم النحاس التى تملكها تحت تصرفى . فلماذا أقتل زوجتى أنا ؟ لم يكن لهذا أى داع .

جـــوليـــا : ومع ذلك تقتل كثير من النساء بأيدى أزواجهن .

فرناندو كراب : ربما . ما شأنى أنا بهذا ؟

جـــوليـــا : بسبب الغيرة مثلا ، أو للانتقام من زوجة لها عشيق .

فرناندو كراب : الأغبياء هم الذين يشعرون بالغيرة . إنهم بلهاء عاجزون ، ولديهم ما يبرر ذلك أيضا ! أما أنا . . . فلا أعرف ما هى الغيرة . شعور . . لابد أنه شعور من نوع غريب . . لست أدرى ما الذى يشعر به الناس

عندمـا يحسـون بالغـيـرة ، زوجـتى أنا لا يمكن أن تخـدعنى . زوجـتى الأولى لم تسـتطع ذلك ، وأنت أيضا لا تستطيعين ، ولن تتمكن من ذلك أى امرأة !

جـــوليـــا : لا تتكلم بهذه الطريقة . فلنتكلم عن شىء آخر .

فرناندو كراب : ولم إذن ؟

جـــوليـــا : يؤلمنى أن تتحدث معى بهذا الأسلوب . يخيل لى أنك تكاد تشك فى . وهذا يحزننى .

فرناندو كراب : ولكن الموضوع يسلينى .

جـــوليـــا : وكأنما خطر ببالى ولو فى الحلم أن أخدعك !

فرناندو كراب : ولكننى متأكد من هذا ، وهو بالضبط ما أقوله !

جـــوليـــا : لم أفكر فى ذلك أبدا !

فرناندو كراب : يستحيـل عليـك أن تفكـرى فيـه ، أعلم هذا تماماً . لا يمكنك أن تخدعينى - لقد ماتت زوجتى الأولى . لم أكن فى حاجة لقتلها . الآن عرفت كل شىء يا جوليا

جـــوليـــا : أجل . (صمت)

فرناندو كراب : تنتابك حالات عصبية .

جـــوليـــا : أنا بخير .

فرناندو كراب : أجفانك متورمة ، أرينى !

جـــوليـــا : فرناندو . . .

فرناندو كراب : الاحـظ الآن وأنـا أنظر إليك أنك أغـمضت عـينيك . أما زلت تفكرين فى تلك القصة الغـبية ؟ لقد شرحت لك كل شىء ، كما فهمت كل شىء .

جـــوليـــا : أنا حامل .

فرناندو كراب : أجـل . توقـعت هذا . الآن ضـمنت أن يـكون لى وريث . وسوف أجعل من ابنى رجلا مثلى .

جـــوليـــا : ولكننا لا نعلم إن كان ابنا أو بنتا .

فرناندو كراب : ابن . أنا واثق من هذا .

جـــوليـــا : وإذا جاءت بنتا ؟

فرناندو كراب : قلت لا . من المؤكد أنه ابن .

جـــوليـــا : وحصلت على الطفل . كان ولدا .

فرناندو كراب : ياللطفل الرائع الذى وهبته لى !

جـــوليـــا : لماذا لا تقبل طفلك ؟ لقد قدمت لـه الهدايا الثمينة عند ولادته ، ووزعت المال على النـاس ، غمـرتنى أيضـا بالهدايا مما جعلنى أعتقد أنك فى غاية السعادة بابنك ، ومع ذلك لم تفـكر مـرة واحـدة فى أن تحـمله على ذراعيك وتقبله .

فرناندو كراب : التقبيل والحركـات المفتعلة تضايق الأطفال . إننى أنتظر حـتى يمكنه أن يفهـمنى عندمـا أتكلم معـه ، عندئذ سيكون لى كلام كثير .

جـــوليـــا : وأنـا أتكلم مـعـه طـول الوقت . أتكلم مـعـه بيـدى وقبلاتى .

- ٤ -

جوليا - فرناندو كراب

فرناندو كراب : هل عاد هذا الدوق إلى هنا ؟

جـــولـيـــا : هذا الدوق ؟ أى دوق تقصد ؟

فرناندو كراب : هذا الذى يـأتى فى هذه الأيـام . واحـــد من أولـئك الثرثـارين المتسكعين . إنه لا يكف عن الثرثرة فى كل مكان ، ولكنه عاجز حتى عن ترميم القصر الذى ورثه عن عائلته . فالسقف آيل للســقوط ، وشبابيك النوافذ مخلعة ، والبـوابة الفخمة مســورة بالأسلاك الشائكة ، وهو مضطر أن يدخل ويخرج مـن الباب الخلفى ، لقد تفرجت عليه ، كما عرض علىّ أن أشتريه أنقاضا .

جـــولـيـــا : نعم . هذا الدوق كان هنا .

فرناندو كراب : ليحضر كـثيرا ، إن هذا يسليك . على الأقل يمكنه أن ينفع فى شيء . هذا الهذوءة .
(مستاءة) ولكنه مهذب جدا ولطيف .

جـــولـيـــا : مهذب ، ولكن هزوءة .

فرناندو كراب : وهو مثقف جدا . يكتب أيضا .

جـــولـيـــا : مثقف أو غير مثقف . ولكنه صعلوك يثير السخرية .

فرناندو كراب : لقد كتب بعض القصائد .

جـــولـيـــا : القصائد - شيء يناسبه طبعا .

فرناندو كراب : ويمكن التحدث معه حـديثا رائعا ، فهو واسع الاطلاع

جـــولـيـــا : على الأدب وعلى أشياء أخرى .

فرناندو كراب : وهذا أفضل . ما دام يسليك .

جـــوليـــا : ليست التسلية هى الكلمة الصحيحة . إنه تعس جدا .

فرناندو كراب : آخ . لا بد أنه يحاول إثارة الاهتمام ، فهو يتعذب . ألم يؤلف قصيدة عما يعانيه ويدسها لك خفية ؟ تحت فنجان القهوة مثلا ؟ إن الذين يحسون بآلامه قليلون جدا ، ولابد من مواساته . لابد من التعاطف معه .

جـــوليـــا : نعم . إنه حساس جدا .

فرناندو كراب : جدا . حاولى أن تواسيه . تكلمى معه عن مشاكله النفسية .

جـــوليـــا : إنك تسىء الظن به . فهو فى الواقع إنسان من نوع فريد . والجرح الدفين الذى يعانى منه هو أن زوجته تخدعه .

فرناندو كراب : الدفين ؟ كل الناس تعرف هذا . وهى النمرة التى يتسول بها فى كل مكان ؛ لأنه يطمع من ورائها فى التقرّب من قلوب الهوانم .

جـــوليـــا: لا افهم كيف يمكن لامرأة أن تفعل بزوجها شيئا كهذا وتفضحه علنا .

فرناندو كراب : أما أنا فأفهم ذلك تماما ! لأنه صعلوك هزوءة ! ربما لم تتزوجه إلا بسبب لقب الدوق الذى يطلقونه عليه ، وهى الآن تشعر بالملل القاتل معه . لا توجد امرأة يمكنها أن تفعل هذا معى !

جـــوليـــا : (بعد تردد) وإذا فعلت ؟ كيف يمكن أن تسير الأمور فى هذه الحالة ؟

فرناندو كراب : سخـافات . فأنا لست رواية مـسلسلة . سخـافات .
وحـياتنـا ليست وهمـا من صنع الخـيـال ؛ يمكنك أن
تتـجـاذبى عنه أطراف الحـديث مع هذا الدوق ، فـهى
حيـاة سوية جدا. وإذا تصـورت أنك تثيرين غـيرتى ،
فأنت مخطئة ! يصعب تجربة هذه الألعاب معى ! معى
أنا ! سلى نفسك كما تحبين مع هذا الهزوءة . فليس له
أى قيـمة عندى .

جـــولـيـــا : (تتنحى جانبا وتكلم نفسها) هل صحـيح أنه لايكترث على
الإطلاق بأن الدوق يتردد علىّ ، وأننا نجلس كـثيرا فى
الكشك طوال العصر ونتبادل الأحاديث معا ؟ هل يمكن
أن يكون غير مبال إلى هذا الحد ؟
هل يحبنى ؟ أم لا يحبنى ؟ إن السؤال يعذبنى .
(توجه الكلام لفرناندو كراب) نحن مدعوان عنده غدا.

فرناندو كراب : وماذا أفعل هناك ؟

جـــولـيـــا : نحن مدعوان على الشاى. ألا تريد أن تحضر معى ؟

فرناندو كراب : على الشاى ! لا ، أنا لا أشرب الشاى إلا عندما أشعر
بالمغص . اذهـبى أنت وحـــدك ، واسى الدوق . ربما
تجدين الدوقة أيضا هناك ، مع عشـيقها الذى جاء عليه
الدور . هذا هو الزواج الحديث ! شىء لطيف ! اذهبى
على راحتك .

جوليا . الدوق

الـــــــدوق : (مهموما) حياتى أشبه بتمثيلية هزلية سمجة . فالمدام تتهادى فى مشيتها كأنها تحجل ، بين غرفة النوم والصالون ، وليس عليها سوى قميص النوم ، قميص النوم فقط . وتظل تدندن أيضا . لماذا تدندنين دون توقف ؟ أدندن لأننى أشعر بالوحدة ، لأن ضوء الشمس يسطع خلال النافذة . طبقان وكوبان . لمن ؟ لك . وبطيخة طازجة . ولكن هناك من سبقنى وأكل منها شريحة . ياللسخرية ! وفجأة أسمع عطسة مختنقة . هل جاءت من ناحية الدولاب ؟ وأفتح الدولاب بحجة تغيير رباط العنق . لا أحد . هل أفتش تحت السرير ؟ هل أهين نفسى إلى حد الاشتراك فى هذه المهزلة ؟ أم أشد الستائر عنوة لأواجه برجل غبىّ يبتسم بشماتة ، رجل لا أعرفه ، أو ربما يكون أعز أصدقائى ، أو ساعى البريد ، أو معلم التنس ؟ من السهل علىّ أن أرمى العاشق من النافذة أو أطردها فى الشارع . وهى نفسها تتمنى هذا ، فهى تحب الفضائح ، والإثارة ، والصياح . ولكننى لا أفتح فمى بكلمة وأهرب بنفسى. فأنا لا أصلح لهذه المسخرة السخيفة .

جـــوليـــا : كيف وقعت فى هذه المصيبة ! ؟

الـــــــدوق : تقصدين لماذا تزوجت هذه المرأة ؟

جـــولـيــــا : أجل ، لمــاذا ؟

الــــــــدوق احكمي على بما تشائين .

جـــولـيــــا : لاشك أنها كانت شديدة الفتنة ؟

الــــــــدوق : ومــازالت . ولكن لم يكــن هذا هو المهم . كــانت ساذجة تماما ، وهذا هو الذى أعجبـنى فيها . مخلوقة على الفطـرة . كـانت خـاليــة الذهن من أى شيء ، وتخيلت أننى سأستطيع أن ألقنها كل شيء من البداية . اعتقدت أن فى إمكانى أن أوقظ وعيها،وأثقف عقلها ، وأغرس في روحهـا الرقة والحساسـية . وتصورت أننى سأنفخ فيها - إذا جاز القول - أنفاس الحياة ، وأجذب انتبـاهها لأمور لم يكن لديهـا أى فكرة عنها ، وأدفىء قلبهـا بالحماس لمعجـزات الموسيقى ، وجمـال اللغة ، وروعة الفلسـفة أيضا إذا اسـتطعت . اعتقـدت بالفعل أننى سأتمكن من تحقيق ذلك .

جـــولـيــــا : بيجماليون ؟

الــــــــدوق : حتى اكتشفت أن سذاجتها الجميلة لم تكن إلا تبلدا فى الطبع ، وأن مرحــها لم يكن ســوى خليط من الأغانى الشائعة فى الأوبريتات .

جـــولـيــــا : يعزّ عليّ أن تقاسى هذا العذاب ياعزيزى الدوق .

الــــــــدوق : أنا الذى طالما قاسيت من الفجاجة والابتذال !

جـــولـيــــا : خدعة بشعة .

الــــــــدوق : إن روحي مـرهقــة حـتى الموت . لكـننى لا أشكو من شيء . وليس من حقى أن أشكو . كان على أن أعرف

أن هناك صنفا من البشر المصابين بتبلد الإحساس ، ومع ذلك يحسون بأن تبلدهم يدل على نقصهم ، كما يشعرون لهذا السبب بالحاجة التى تدفعهم لتعذيب الآخرين ، بل ربما جعلتهم يستمتعون بتعذيبهم حتى يدفئوا قلوبهم الباردة بنيران الألم الذى يعانونه على أيديهم .

جوليا : آه ياعزيزى الدوق! إن ذكاءك الحاد ينفذ فى الأعماق .

الدوق : الألم الذى نقاسيه فى الحياة يهبنا من التبصر والمعرفة ما يعجز عنه السعداء الراضون عن أنفسهم . اقرأى ليوباردى ، اقرأى الشعراء الذين يعيشون بيننا ويتعذبون. إن كل شعر عظيم ينهل من الشعور الأليم بالحياة ، من الحزن الفاجع .

جوليا : (فجأة) هل أنا تعيسة ؟

الدوق : أأنت التى تسأليننى ياجوليا ؟

جوليا : آه ! مجرد فكرة خطرت على بالى . أرجو أن تنسى ما قلت .

الدوق : أنا لا أستطيع أن أحول أفكارى عنك .

جوليا : وما هى الأفكار التى تدور فى رأسك ؟

الدوق : أحيانا أتخيل أننا تعارفنا قبل ارتباطى بهذه الإنسانة السخيفة التى جعلت حياتى جحيما ، وقبل أن . . .

جوليا : لا يمكنك المقارنة بيننا !

الدوق : ومع ذلك فإنى أعتقد . . . ولكن من الأفضل أن أسكت . .

جـــوليـــا : أرجوك أن تتكلم . لقد نجحت فى إثارة فضولى .

الـــــدوق : لو كنا التـقينا فى ذلك الحين وتحدث كـل منا للآخر ، إذن لـ . . .

جـــوليـــا : أتريد أن تقول : إذن لوقَعْتُ فى حبك ؟

الـــــدوق : بلا أدنى شك !

جـــوليـــا : يا لغرور الرجال !

الـــــدوق : لست مغرورا .

جـــوليـــا : إنهم جميعا يتصورون أن سحرهم لا يقاوم .

الـــــدوق : لا . ليس هذا صحيحًا .

جـــوليـــا : لقد قلتها بنفسك الآن .

الـــــدوق : واقصد بها شيئا مختلفا كل الاختلاف .

جـــوليـــا : وما وجه الاختلاف ؟ تكلم من فضلك !

الـــــدوق : لم أقـصـد نفـسى بذلـك . حـبى هو الذى كـان من المستحيل مقاومته . حبى !

جـــوليـــا : آه . هذا اعتراف صـريح بالحب ياعزيزى الدوق . لقد نسيت أننى امرأة متزوجة ، وأننى أحب زوجى .

الـــــدوق : أنت تقولينها بلسانك ، ولكن . . .

جـــوليـــا : وهل تشك فى ذلك ؟ وأن هذه هى الحـقـيقـة . فهـو رجل رائع . مفعم بالطاقة والحيوية ! عندما يفتح الباب وأراه واقفا أمـامى أجدنى أقول لنفسى : إنـه هو الحياة ذاتهـا ، ولا أملك إلا أن أندفع إليه وألقى بنفـسى بين ذراعيه .

الـــــــدوق : وهو ؟
جـــولـيـــا : ما معنى « وهو » ؟ إنه هو هذا !
الـــــــدوق : ولكننى أعلم . . . أعنى أننى سمعت . . .
جـــولـيـــا : أنه لا يحبني ؟ ممن سمعت هذا ؟
الـــــــدوق : منك !
جـــولـيـــا : أنا لم أتكلم أبدا عن زوجى !
الـــــــدوق : لقـد تكلمت بعـينيك ، بإطراقـة رأسك ، بحـركـات يديك، بنبرة صوتك ، وبصمتك أيضا . .
جـــولـيـــا : أتريد أن تقول إننى طلبت منك أن تعلن لى عن حبك؟ هذه هى المرة الأخيرة التى تدخل فيها بيتنا !
الـــــــدوق : ناشدتك الله ياجوليا !
جـــولـيـــا : قلت لك هى المرة الأخيرة !
الـــــــدوق : لو أذنت لى بالبـقاء فى الحجـرة المجاورة . فى الظلام الدامس إذا شئت، فأسمع صوت خطاك فى الصالون ، أو ربما أسمع صـوتك ، وأغمض عـينى لأرى وجهك خلف جفنى المغمضين ، وجهك الذى يبتسم لى .
جـــولـيـــا : فى الحجرة المجاورة وفى الظلام الدامس ؟
الـــــــدوق : المهم أن أكون بـالقرب منك . وهو ما قـلته الآن وربما أفزعك . . .
جـــولـيـــا : لا تقل ربما ! لقد أفزعتنى بالفعل !
الـــــــدوق : وتصورت أن اعترافى غرور باطل !
جـــولـيـــا : بالفعل .

الـــــدوق : هذا خطأ فاحش ! ومن أنا فى النهاية ؟ مـجرد شخص
حالم قليل الحيلة . الـلقب القديم . . . حسن . ولكن
ما قـيمتـه ؟ النبالة والعائلة،لـيس لى فضل فى هذا .
شىء من الثقافة ؟ . . ولكن من المفروض أن يكون هذا
أمرا بـديهيا ، شـأنه شأن اللـياقة والـسلوك الحمـيد .
حساسية خاصة بالأعمال الفنية بحيث أكاد أحس بكمال
الخط واللحن وظلال الألوان إحساسا شبه جسدى ؟ أن
بيتين من شعر لوركا كفـيلان باستدرار الدموع من عينى
رغما عنى . ولـكن هذا لا يبرر بطبيعـة الحال أن أكون
متعاليا . إنه طبع . وهو يجـعلنى أشعر بأنى وحيد .
انظرى إلىّ ياجوليا . نظرة واحدة !

جـــولـيـــا : لا .

الـــــدوق : هل ترين أمامك شخصا لا مثيل لجماله ؟ من المضحك
أن يصـدق أحد ذلك ! إننى أنظر إلى نفـسى فى المرآة
فأكتشف ظلال الاكتئـاب وعلامات الدمار الخفى الذى
يشوه الملامح القديمة المنسجمة . أنظر إليها فأتعرف على
المرارة التى ترتسم خطوطها الصغيـرة حول فمى وأتعمد
إخفاءها عن عيون الآخرين . ابتسامتى مشبعة بالألم .
لا شىء فىّ يسـتحق منك أن تحـبيه ، ومـن حقك أن
تحولى عينيك عنى كما تفعلين الآن لو تصورت أن هذا
هو الذى يمكن أن يقربك منى .

جـــولـيـــا : لا أدرى عن أى شىء تتكلم .

الـــــــدوق : أتكلم عن حـبى ، أتكلم عنه دون توقف ، عن حـبى المتـهـــور المجنون لك ، هذا الحب هو هـديتى لك ، وليس هو شخصى التافه الذى لا وزن له .
(تضع يديها على أذنيها وتهمس) سم . . سم !
إن أكـثـر الناس عـاجـزون عن الحب . إنهم يطالبـون بالحب ، إن من حـقـهـم أن ينالوا الحب والوفـاء بغيـر حـدود . يستـولى الواحد منـهـم على إحدى الفـاتنات ويسوقها أمامه : انظروا إلى زوجـتى الجميلة ، تفرجوا على ثمرتى ! ويروح يشدها من قـيدها . انظروا ! إنها ملكى ! انظروا كيف تطيـعنى ! ولكن هذا لا يثبت أنه يحب الثمرة ، لأنه يزهو بامتلاكها فحسب .

جـــولـيـــا : لا أريد أن أسمع هذا الكلام . .

الـــــــدوق : بل أنت تسمـعيننى جيدا . . . وتفـتحين أبواب روحك على اتسـاعها ! إننى أتغـلغل فى أعماقـك ، أنفذ فى صميم روحك .

جـــولـيـــا : اتركنى فى حـالـى ! إذا جـاء الآن فـجـأة ودخل من الباب . . .

الـــــــدوق : لن يأتى ! إنه لا يهتم بك ! وهو يتـركنا وحدنا لأنه لا يحبك .

جـــولـيـــا : إنه يثق بى ثقة كبيرة .

الـــــــدوق : بل يثق بنفـسـه ثقـة هائلة . إنه لا يعتـقد ، لمجـرد أنه استولى على كل شىء ، لأنـه جمع من المـال مـا لا

حصـر له - ولست أريد أن أعرف كيف ! - لا يعتـقد أنه يمكن أن يضيع شيئا وضع يده عليه ، إنه عاجز عن تخيل مايدور فى نفس امرأة . وربما كان يحتقرنى . .

جـــوليـــا : أجل . . إنه يحتقرك !

الـــــدوق : لقد عرفت هذا . ولكنه يحتقرك أيضا !

جـــوليـــا : أتريد أن تقتلنى بكلامك ؟

الـــــدوق : إنـه ، إنه هـو الذى سيـقتلك . . ولست أول امـرأة قتلها . .

جـــوليـــا : عار عـليك أن تقول هـذا ! أنت تكذب ! بفظـاعة ! روجـى لـم يقتـل هـذه المـرأة . اذهب الآن ولا ترنى وجهك !

الـــــدوق : إن الفكرة نفسها تؤلمك . لقد أفزعتك .

جـــوليـــا : قلت اذهب !

الـــــدوق : أنا أفهم رغبتك فى الانفـراد بنفسك . وسوف تفكرين فى الأمر طويلا ثم تستدعـيننى مرة أخرى . أؤكد لك أننى لن أتخلى عنك .

- ٦ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

فرناندو كراب : (يدخل) تصورى ما جرى اليوم !

جـــولـيـــا : أين إذن ؟

فرناندو كراب : يجب أن أحكى لك الحكاية لتتسلى معى .

جـــولـيـــا : (قلقة) أنا مصغية لك .

فرناندو كراب : هل لديك فكرة عن المبارزة ؟

جـــولـيـــا : شيء بديهى .

فرناندو كراب : تصورى ! مبارزة فى هذه الأيام ! حفنة أولاد مهووسين تجمعوا فى الغابة فى غبش الضباب وراحوا يتصايحون: « حـدد السلاح الذى تـريده ! » إلى آخر الجـعـجعـة الفارغة التى لا أطيقها .

جـــولـيـــا : (مفزوعة) هلى طلبت أحدا للمبارزة !

فرناندو كراب : وهل خفت ؟

جـــولـيـــا : بالطبع - تكلم أرجوك !

فرناندو كراب : لا داعى أبـدا للقـلق ! أنت تعـرفـيننى تمامـا . أليس كذلك ؟

جـــولـيـــا : لا أدرى إن كنت أعرفك أو لا أعرفك .

فرناندو كراب : آه ! كـلامك مـثل نبـوءات العـرافين ! قـلت لا داعى للقلق ، فلست أنا الذى يجـرونه إلى هذا التـخريف . مبارزة ؟ هل يعقل أن أبارز ؟ أنـا فرناندو كراب ؟ لقد طردت الأولاد بطبيـعة الحال . « أرسلوا إلى الحـساب وتنتهى المسألة » !

جـــولـيــا : أى حساب ؟

فرناندو كراب : أجر الطبيب والتعويض عن الإصابة وكل طلباته .

جـــولـيــا : طلبات من ؟

فرناندو كراب : وإذا أصرّ على المبارزة فعليه أن يشرف ، سأبارزه باللطمات والركلات .

جـــولـيــا : ولكنك لم تقل من هو ؟

فرناندو كراب : هو هذا الـ . . . آخ ! نسيت الآن اسمه ، بل لم أكلف نفسي مرة واحدة بملاحقة اسم السيد المهذب . . .

جـــولـيــا : وكيف نشب الخلاف الذى أدى للمشاجرة ؟

فرناندو كراب : بسبب نكتة . .

جـــولـيــا : مشاجرة بسبب نكتة ؟ لا أتصور أن يصدر هذا عنك .

فرناندو كراب : لم تكن مشاجرة بالمعنى الصحيح . لقد قال نكتته فضربته بالكأس على رأسه .

جـــولـيــا : أجل . وهل جرح ؟

فرناندو كراب : سالت كمية من الدم تكفى لملء منديل .

جـــولـيــا : آخ ! ياللبشاعة ! هل أهانك إلى هذا الحد ؟

فرناندو كراب : النكتة ! النكتة (يضحك) !

جـــولـيــا : أرجوك أن توضح. أنا لا أفهم شيئا من كل هذه الحكاية .

فرناندو كراب : قال نكتة . . نكتة عن زوج يرجع إلى البيت ويكتشف فى غرفة النوم . . شيء من هذا القبيل . . المهم أن زوجته ترقد فى الفراش مع رجل ، والزوج نفسة لا

يلاحظ ذلك . . . ثم أفاجأ بمن يقول : مثل فرناندو كراب . لقد زعم أنك تخونيننى .

جوليا : آخ ! لا بد أن هذا استفزك وأثار غضبك .

فرناندو كراب : هلى رأيتنى مرة فى حالة غضب ؟ هل لاحظت مرة واحدة أننى خرجت عن طورى ؟

جوليا : كلا لم أر منك هذا أبدا . ولكن من الطبيعى فى هذه الحالة أن تنفعل .

فرناندو كراب : آه . الناس يثرثرون كثيرا .

جوليا : المهم أنك ضربته بسببى .

فرناندو كراب : بسببك ؟ شيء مضحك ! تقولين بسببك ؟ ! كل ما فى الأمر أن ضحكته لم تعجبنى ، هذه الضحكة الخافتة التى لا تكشف حتى عن الأسنان .

جوليا : يسعدنى بطبيعة الحال أن تثق بى إلى هذا الحد .

فرناندو كراب : طبعا . طبعا ! لا تحملى هما !

جوليا : ولكن . .

فرناندو كراب : « لكن » ممنوعة . . فزوجة فرناندو كراب سعيدة بالتأكيد ! .

جوليا : أجل . .

فرناندو كراب : الناس ينصحوننى بمنع الدوق من دخول بيتى . هل رأيت أسخف من هذه النصيحة ! مادام الصعلوك الهزوءة يسليك، ومادام يقوم بقفزاته البهلوانية الرشيقة ! أما عن رأيى فيه فليس له أى أهمية . المهم أننى مطمئن

إلى أن زوجتى مستمتعة ولا تشعر بالملل أثناء انشغالى
بتدبير أعمالى . كلب يوضع على الحجر ! هل نرميه
من الشباك ؟! هل نضمن ألا يسقط على رأس أحد ؟
ولكن بكل جدية : أنت بنفسك ستطردين الدوق بمجرد
أن تشعرى بأنه أصبح خطرا عليك ، أى عندما تبدئين
فى الاهتمام به . أما أنك تعجبينه فهذا شىء بديهى ،
لأن الجميع معجبون بك .

جوليا : لقد سبق أن منعته من دخول البيت يافرناندو .

فرناندو كراب :هكذا ؟ (يافت لحظة) .

جوليا : أجل . ولكنه رجع مرة أخرى .

فرناندو كراب : عظيم ! هذه علامة طيبة !

جوليا : ونحن نتقابل الآن كثيرا . عدة مرات كل أسبوع .
(فجاة ويعنف) يجب أن تطرد هذا الرجل يافرناندو !

فرناندو كراب : هذا الرجل ؟ هل قلت « الرجل » ؟

جوليا : قلت لك يجب أن تمنعه من دخول بيتك . لأننى لو
اهتممت به حسب تعبيرك . .

فرناندو كراب : آخ ياجوليا ! لابد أنك تريدين إثارة غيرتى ! تخيلت
هذه الأفكار لأنك تعيشين فى عالم رومانسى ، وهذا
هو الذى يشوش دماغك ! أعتقد أنك محتاجة لقضاء
بضعة أسابيع فى الريف ، بعيدا عن المدينة . الهواء
المنعش سيفيد صحتك . وإذا شعرت بالملل ، طلبنا من
الهزوءة أن يحضر إلينا . ولم لا ؟ سنسافر غدا .

الدوق : وسافرا فى اليوم التالى إلى الريف .

- ٧ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

جـــولـيـــا : ماذا أفعل هنا طول اليوم ؟ هل أحدق الساعات الطويلة فى الأبقار التى تسرح هناك على العشب بين الأحجار المتناثرة ؟ وفى الكلاب التى تزوم وتزمجر لتتخلص من سلاسلها ؟ وأظل أسمع الصليل وأنا مؤرقة فى الليل على فراشى بعيون مفتوحة . والخادمات يزعقن طول النهار سواء فى البيت أو فى الحظائر أو هناك حيث يشطفن الغسيل فى المـاء . يزعقن حين يمر واحد من الخدم . بأصواتهن المعدنية القبيحة ! ويستولى علىّ الخوف حين يلاحقنى ألفونسو الأبله ويظل يرفع قبعته وهو يضحك ضحكته الخبيثة . .

فرناندو كراب : أعصابك متوترة جدا ياجوليا .

جـــولـيـــا : لو كان معى على الأقل بعض الكتب أو المجلات ! تقول لى دائما عليك أن تهتمى بالواقع . ولكن كل ما أراه يثير فى نفسى الملل والتقزز . لو كان عندى كتاب واحد على الأقل ! ما الذى منعنى من إحضار عدد منها ! .

فرناندو كراب : وهل منعتك أنا من ذلك ؟ لقد وافقت على اقتراحى بالاستجمام عدة أيام هنا فى الريف .

جـــولـيـــا : لأننى فهمت أن هذه هى رغبتك .

فرناندو كراب : ولكننى لا أحظر شيئا عليك ! هل حدث أن حرمت عليك أى شىء ؟ لست مستبدا ولا طاغية . إننى لا أمنع عنك شيئا ولا أطلب منك أى شىء . .

جـــولـيـــا : أجل . ولا تطلب حتى أن أحبك !

فرناندو كراب : ولكن ياجـــوليـــا . الحب لا يطلـب ! . هناك أزواج يطلبـونه من زوجـاتـهم. والزوجـات أيضـا يسـتـجبن لطلبهم. يمثلن أمامـهم المسرحية الحمـقاء المـألوفة التى ينتظرها الـرجل من الزوجـة المحـبـة : نبـرة حلوة فى الصوت ، نظرة حالمة ، اعترافات عاطفية مكرورة وبلا نهاية - أحـيانا تبدو ضعـيفة وباهتـة - وإن لم تختف تماما، وأحيانا تتفجر فجأة فتتصاعد التنهدات والهمسات - غش ونصب ! والأزواج يصـــدقـون أيضـا ! نصب واحتيال ! الحب لا يطلب من أحد !

جـــولـيـــا : ولكن هل تعتقد أننى أحبك ؟

فرناندو كراب : ليست المسألة مسألة اعتقاد - هذا هو الواقع !

جـــولـيـــا : الواقع ! الواقع !

فرناندو كراب : لقد رأيتنى عندمـا التقينا لأول مرة . وعـرضت نفسى عليك بكل أمانة منذ البداية. أنت الآن تعرفين حقيقتى وتعلمين من أنا ، ولهذا السـبب تحبيننى . لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك . أمـا السفسطة عن هذا الموضوع فـالأفضل أن تجـتـريها مع حـبـيب الروح ولكن ليس معى. يمكنك أن تستدعيه إلى هنا إذا شئت (صمت) .

جـــولـيـــا : هل تصورت أننى لم الاحظ . (تتردد) .

فرناندو كراب : ماذا ؟

جـــولـيـــا : أنك تذهب إلى إحدى الخادمـات التى تعتنى بالأبقار ، الخادمة السـمينة ! واسمها سيـمونا ! لقد بدأت تكون علاقة معها . أعلم هذا تماما . .

فرناندو كراب : وأنا لم أكلف نفسي بإخفاء هذا الموضوع التافه .

جـــوليـــا : في حظيـرة الخيـول ، خلف باب غـرفة الطعـام ، في مخزن المكانس والمقشات . .

فرناندو كراب : رائع !

فرناندو كراب : سلوك بدائي بشع !

جـــوليـــا : بدائي . أجل ! أنا نفسي تربيت فوق أكـوام الروث . لا تنسى هذا أبـدا . وعندى ضـعف لهـذا . حـيـوان حـسي بسـيط ، قـذر إذا شئـت ، أجل قـذر ، ولكنه يعجبني ! ألقيهـا في الجدول ، بكامل ثيابها ، واكحت الأوساخ من عليها وتطوقني بذراعيها المبللتين السميتين وتسحـبني إلى المـاء ، وتظل تصرخ وتصـيح من شدة الفرح ، حتى تكاد تمزق طبلة أذني .

جـــوليـــا : وهذا يعجبك ؟

فرناندو كراب : نعم . ولكن لمـاذا تعـبسين بوجـهك ؟ ماشـأنك أنت بهذا ؟ أفصحي .

جـــوليـــا : ربما كان شيـئا جميلا . إننـي أحاول أن أتخيله . وربما حاولت أيضا أن أتشبه بحيوانك الوحشي .

فرناندو كراب : أنت ياجوليا ؟ لا . لا . إلا أنت ! يجب أن تبقي كما أنت جميلة ، رقيقة ، أنت كاملة !

جـــوليـــا : وأنت كذاب ! كـلامك يبدو وكـأنه اعتـراف بالحب ، ولكنه في الواقع إهانة .

فرناندو كراب : آه من حساسيتك وأعـصابك المتوترة ! لقد تصورت أن حالتك النفسية تحسنت .

جـــولـيـــا : أتعتقد أن الرجل يستطيع أن يفعل كل شىء ، يستطيع أن يغش ويخون . .

فرناندو كراب : ومن الذى يخون إذن ؟

جـــولـيـــا : (صارخة) أنت !

فرناندو كراب : جوليا ! أنت تتصورين كل شىء كأنك تقرأين رواية غرامية . ولكنها الحياة العادية البسيطة . أنا لا أهتم أدنى اهتمام بالسمينة ، وحتى لو كانت تعجبنى اليوم ، وربما غدا ، فلن تعجبنى بعد غد .

جـــولـيـــا : أهذا هو رأيك إذن ؟

فرناندو كراب : ورأيها بالضبط من رأيى . فهى تريد أن تتسلى معى . لكننى مازلت زوجك ياجوليا .

جـــولـيـــا : ومعنى هذا أننى مازلت زوجتك .

فرناندو كراب : أخيرا رجعت لعقلك .

جـــولـيـــا : عقلك يعذبنى يافرناندو .

فرناندو كراب : تأكدى أن سيمونا هى المستفيدة منى . فأنا أدفع ثمن كل شىء . وبالمهر الذى أعطيه لها ستحصل على زوج طيب . وعندما تزف إليه ومعها طفل منى ، فسوف يفرح بغير شك لأنى أنا أبوه . لأنه من صلب رجل مثلى !

جـــولـيـــا : اسكت ! اسكت !

فرناندو كراب : خسارة ، الإرهاق العصبى ليس من السهل شفاؤه . يجب أن نبذل كل ما فى وسعنا لكى لا يزداد سوءا .

جـــولـيـــا : لست رجلا يافرناندو ! لست رجلا !

فرناندو كراب : (بتهكم) هذا كثير . كيف خطر هذا على بالك ؟

جـــولـيـــا : لا . لست رجلا .

فرناندو كراب : مـا أغـرب الأفكار التـى تدور فى رأسك ! ومـا الذى يمنعنى من أن أكون رجلا ؟

جـــولـيـــا : سأخبرك فيما بعد .

فرناندو كراب : حسن. أخبرينى فيما بعد أو لا تخبرينى على الإطلاق . احتفظى بالسر فى دماغك الرومانسى .

جـــولـيـــا : سأسكت . (صمت) .

فرناندو كراب : أفضل أن تصارحينى .

جـــولـيـــا : أعلم أنك لا تحبنى .

فرناندو كراب : آه ! رجـعنا للنغـمـة القـديمة ! أحب ولا أحب ، هذا اللغـو الفـارغ ! هذا كـلام تقـولينه لحـبـيب الروح . أريحينى أنا منه .

جـــولـيـــا : لست فى حاجة للكلام . أنا أعـرف أيضا بنفسى - من تصرفاتك أعرف حقيقتك .

فرناندو كراب : (ساخرا) هلى أحضر لك وردا ؟

جـــولـيـــا : آه . ورد ! إنه يملأ الحديقـة ! - أنت لاتمانع فى دخول الدوق وخروجه من عندنا فى أى وقت .

فرناندو كراب : المهم أن هذا يتم برضاك .

جـــولـيـــا : أجل برضاى ! أجل ! أجل ! أجل !

فرناندو كراب : رجعت للانفعال !

جـــوليــــا : ولمـاذا لا أرضى ؟ إنه عـشـيـقى ! سـمـعت ؟ لقـد فهمت تماما ما أعنيه -نعم هو عشيقى. أنا أفعلها معه . فهمت . لا بطـريقتك البدائية مع سيـمونا . ويجب أن تعلم أنه عاشق متمرس جدا !(فرناندو كراب يلزم الصمت) .

جـــوليــــا : فرناندو !

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : لقد أقمت لى ذلك الكشك بنفسك .

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : والأريكة المغطـاة بملاءة من الحـرير الهنـدى مـوجـودة هناك ! كنا ننزل الشيش بطبيعة الحال .

(فرناندو كراب يواصل الصمت) .

جـــوليــــا : فرناندو !

فرناندو كراب : نعم .

جـــوليــــا : نعم ! نعـم ! نعم ! نعم ! أهذا كل مــا عندك ؟ ألن تقتلنى ؟ ألن تخنقنى بقبعتك كما فعلت مع الأخرى ؟ مع زوجتك المكسيكية ؟

(صمت . فرناندو كراب ينفجر فجأة فى ضحك مخيف) .

جـــوليــــا : (صارخة) كفّ عن هذا !

فرناندو كراب : (يكفّ على الفور عن الضحك ، ثم يقول بهدوء :) ليس صحيحا أننى قتلت زوجتى الأولى ، وليس صحـيحا كذلك أن الهزوءة هو عـشيقك ، أو أنه تجرأ ولمسك مـرة واحدة بطرف إصبعه. أنت تكذبين علىّ لكى تثـيرى غضبى .

تريدين أن تجعلي مني عُطيل آخر. ولكنني لست عُطيل
ولن أكونه أبدا . إذا استمر بك الحال على هذا الهذيان
وعجزت قواك بالتدريج عن مقاومته ، فسوف يشتد
قلقي عليك . وربما تحتم حبسك في مصحة مجانين .

جوليا : أنت جبان !

فرناندو كراب : ليس بيتي مسرحا ! نحن لا نمثل مسرحية !

جوليا : (صارخة) جبان ! جبان ! (تبكي . فرناندو كراب ينصرف) .

الدوق : بعد مرور أسبوع على الحوار السابق طلب فرناندو كراب من زوجته الحضور إلى حجرة مكتبه . كان هناك سيدان في الانتظار . كذلك تمكن بطريقة شيطانية من استدعاء الدوق بوردا فيلا للحضور) .

- ٨ -

(جوليا . فرناندو كراب . الدوق . طبيبان للأمراض العقلية والعصبية)

فرناندو كراب : أقدم لك هذين السيدين اللذين لا تعرفينهما ياجوليا .
إنهما البروفيسور أنريك ألفاريز والبروفسور الدكتور
هرمان شتيتتر ، كلاهما طبيبان للأمراض العصبية . . .
وللمجانين - جهابذة فى تخصصهما . البروفيسور
ألفاريز هو رئيس قسم الأمراض العصبية والنفسية فى
إحدى المصحتين اللتين تمولهما مؤسسة فرناندو كراب .
إننى فخور بأنهما أحدث المصحات العلاجية فى البلاد
وأكثرهما تقدما من الناحية العلمية .

جوليا :(للدوق) وماذا تفعل هنا يا خوان ؟

الدوق : طلب منى الحضور إلى هنا .

فرناندو كراب : سيفحصك هذان السيدان ويقومان بعلاجك . رأسك
ليس على ما يرام ، لذلك اضطررت لترتيب هذه
الزيارة . سوف تدركين هذا عندما تستردين صحتك
وعافيتك .

جوليا : (للدوق) كنا نتقابل دائما فى أماكن أخرى ياخوان ، هذا
المكان لا يلائم المواعيد الغرامية .

الدوق :إننى أشعر بالخجل (ينظر للأرض) .

جوليا : لماذا تحول بصرك عنى؟ انظر إلى ياخوان ! أنا جوليا !

الدوق : أنا أعرفك تماما ياسيدتى الفاضلة .

جوليا : لم تتعود الكلام معى بهذه الطريقة الرسمية !

فرناندو كراب : (للطبيبين) لعلكما تلاحظان ، ياسادتى ، أن رأسها
ما يزال يتشبث بهذه الفكرة الثابتة . بدأ الأمر بشكل
غير ملحوظ إطلاقا ، لكن حالتها ساءت بالتدريج ،
حتى أصبح الكلام معها متعذرا . وتعذر على أنا نفسى
أن أتكلم معها كلاما معقولا ، مع أنى أنا زوجها .
إنها تزعم ، بل تصر باستمرار ، على أن هذا السيد
الموجود هنا ، ولكن ماذا أقول ؟

جوليا : أجل ، هو عشيقى ! هذا صحيح ، وأنا أعترف بهذا .
إذا كنت مخطئة فليتكلم !

فرناندو كراب : سمعت ، أيها الدوق ، ماتؤكده زوجتى . ساعد
المسكينة بأن تقول الحقيقة . يجب أن يكون للطبيبين
المختصين فكرة عن الحالة . وأنا مضطر أن أسألك
بصراحة كاملة : هل كانت لك أى علاقة حميمة مع
زوجتى ؟

الدوق : طبعا لا ! لا ! أعوذ بالله !

فرناندو كراب : أرأيتم ياسادتى !

جوليا : ما هذا الذى تقوله ؟ هل تنكر كل شىء ؟

الدوق : أنا لا أذكر أبدا أننى . . .

جوليا : هل تنكر ما كان يجرى بعد الظهر فى الكشك ؟
ساعات العصر الطويلة حتى الغسق . . . عندما كنا ننام
على الأريكة متعانقين . عاريين . وكيف رجعت فى
إحدى الليالى لأنك لم تصبر على البعد عنى ، ولا أنا

أيضا صبرت ، ثم بقيت حتى طلوع الصبح ، حتى اللحظة الأخيرة عندما عاد فرناندو من سفره وأخذ ينادى علىّ من بئر السلم ، بينما هربت أنت وقفزت من الشرفة . وسقط زرار منك لأنك كنت متعجلا ! سقط من سروالك !

الـــدوق : سيدتى الفاضلة . . .

جـوليـا : وعثر فرناندو عليه !

فرناندو كراب : أنا عثرت على زرار ؟ أرأيتم ياسادة . . .

الـــدوق : تمسكى بالعقل ياسيدتى الفاضلة ! عودى إلى نفسك ! أتوسل إليك !

جـوليـا : أنت تنظر إلى بفزع شديد ، وكأنك لا تعلم شيئا على الإطلاق عن الموضوع الذى أتكلم عنه !

الـــدوق : أرجوك أن تهدئى نفسك ! أرجوك !

جـوليـا : وهل أكذب ؟

الـــدوق : الكذب . . . ليس هو الكلمة الصحيحة .

فرناندو كراب : حالتك للأسف . . .

الـــدوق : أجل ، كما تقول !

فرناندو كراب : . . . حالتك للأسف لاتسمح لك بالتفرقة بين الواقع والوهم . ألم تقصد هذا يادوق ؟

الـــدوق : أنا فى غاية الأسف للحالة التى وصلت إليها زوجتك ، ياللمصيبة ! ليتنى أستطيع مساعدتها !

فرناندو كراب : كف عن هذا النواح ! سيقوم الطبيبان بمساعدتها ، لقد استدعيتهما لهذا الغرض ، ويمكن الاعتماد عليهما . .

جـــــولـيـــــا : نهارك سعيد يابروفيسور ألفاريز ، نهارك سعيد ياسيدى الدكتـور هـيرمـا نشـتـر. الغـريب أننى لم ألاحظ وجودكما إلا الآن ! ما أجمل أن تكون لديكما النية فى مساعدتى !

فرناندو كراب : (يصفق بيديه) برافو !

جـــــولـيـــــا : ولكنكما لا تستطيعان مساعدتى . (للدوق) : سؤال أخـيـر ياخوان ! أظـن أننى لا أتوهم أنك كنت تتـردد عـلى بيتنا ثم أكثرت من زيارتنا فى الفترة الأخيرة ؟

الـــــــــدوق : لا . أنت لا تتوهمين ذلك ياسيدتى الفاضلة .

جـــــولـيـــــا : وما الذى كنا نتـحدث عنه باستمـرار ؟ دعنى أتذكر . رأينا قطة تقفز على الجدار فأخذنا نتناقش عن الحيوانات وعن القطط بوجه خاص : هل لها روح ؟ وإذا كان لها روح فهل هى خالدة مثل روح الإنـسان ؟ تناقشنا حول هذا الموضـوع ثم رجـعنا لبعـض الفلاسـفـة وقلبنا فى أعمالهم المصفوفة على رفـوف المكتبة . . لم نصل فيما أعتقد إلى أى نتيجة ، أم ترانى نسيت هذا أيضا ؟

فرناندو كراب : تناقـشـتمـا عن قطة . . نعـم . نعم ! هذا شىء يمكن تصديقه .

جـــــولـيـــــا : كما تناقشنا عن الحـياة بعد الموت . . ألم أقل لك إننى أشعر أحيانا بأننى مت بالفعل ؟

فرناندو كراب : ما هذا الكلام ؟ أنت معنا هنا بدمك ولحـمك - جوليا الممتلئة بالحياة . زوجة فرناندو كراب .

جـــولـيــــا : (مشيرة إلى الدوق) وهذا ؟

فرناندو كراب : قل لها يادوق لمــاذا كنت تأتى إلى بيتنا بانتظام ؟

الـــــــدوق : طبعا بدافع صداقتى لك ياسيد كراب .

جـــولـيــــا : ماذا ؟ أأنتما صديقان ؟

فرناندو كراب : لقد أنقـذت قصره من الانهـيار ، أعنى ذلك الصندوق العفن القديم . هذا هو الذى يقصده ، أليس كذلك ؟

الـــــــدوق : أجل .

فرناندو كراب : زوجـــتى هى التى طلبــت منى ذلك ، ولولا هذا مــا فعلت .

الـــــــدوق : وكنت بطبـيعـة الحـال أتردد أيضا على بـيتكم بسـبب إعجابى بالسيدة الفاضلة التى تسمح لى أحيانا بالتحدث معها . لا يعقل أبدا أن يسيىء بوردا فيلا استغلال الثقة التى وضعها فيــه صديق أو أن يفكر فى خيانة مثل هذا الصديق الشهم .

فرناندو كراب : صديق مثلى ؟ أليس هذا هو الذى تقصده ؟

الـــــــدوق : أجل مثلك .

فرناندو كراب : ماذا ؟ هل تصورت أننى عمــلت لأمانتك أى حساب ؟ أو أننى وضعت لها أى اعتـبار ؟ إن أخلاقك لا تعنينى على الإطلاق ! وهى غيـر موجودة بالنســبة لى . إنك توجهها كما تشاء ، مرة هنا ومرة هناك ، حسب الاتجاه الذى تهب منه الريح . هكذا أنت . أعرف هذا تماما ، وأعرف أيضا أن الكل مثلك . كل الذين لا يعيشون إلا

على رؤوسهم ويدّعون أنهم يملكون حكمة العالم .
لتكن إذا شئت أبرع النصابين أو أفتك الفاتكين ،
لا المخلوق البائس الذى أراه الآن أمامى - مع ذلك لن
تستطيع أن تغشنى . لم يخلق ذلك الذى يستطيع أن
يخدع فرناندو كراب . هلى فهمتنى ؟ هل هذا هو
الذى أردت أن تقوله ؟

الـــدوق : أجل . . . أردت أن أقول شيئا يشبهه .

فرناندو كراب : يشبهه أم هو بالضبط ؟

الـــدوق : أجل ، بالضبط .

جـــوليـــا : (تنفجر صارخة) وأنا المجنونة ؟ أنا ؟ يحبسوننى فى مصحة
المجانين لأنك خائف من قول الحقيقة، أنت أيها الجبان !
لقد اشتراك بماله. وها أنت أمامى تزحف على الأرض.
لسانك يتدلى من فمك ولعابك يسيل منه لسان ضخم
شره ! ازحف على بطنك إليه ، فلسانك يشتهى أن
يلعق قدميه ، كم يرتجف من النهم إليها . سيخلع على
الفور حذاءه ويمد إليك قدميه القذرتين ، قدميه اللتين
وقف بهما فوق أكوام الروث فى الحظيرة. هيا العقهما !
هيا العقهما !

فرناندو كراب : (للطبيين) سادتى . لابد أنكما قد شخصتما الحالة .
ساعداها من فضلكما ، ابدآ العلاج ، فعلا كل ما
تستطيعان .

- ٩ -

-((جوليا - طبيبا الأمراض العقلية))-

الطبيب الأول : مأساة فظيعة ! كيف نتصرف يابروفيسور ألفاريز ؟

الطبيب الثاني : طاطا ! يادكتور هيرمانشتتر !

الطبيب الأول : أظن أن « طاطا » لن تساعدنا للأسف كثيرا يابروفيسور ألفاريز .

الطبيب الثاني : ما العلاج الذى تقترحه ؟

الطبيب الأول : وأنت ؟

الطبيب الثاني : هل الصدمة الكهربائية فى رأيك مناسبة لهذه الحالة ؟

الطبيب الأول : (بتهكم) طاطا !

الطبيب الثاني : ولكن الحذر واجب ، ورأيى ألا نبدأ مباشرة . ما رأيك فى اللجوء للأدوية ؟

الطبيب الأول : المهم أن نبدأ بتهدئة أعصابها - هذا هو اقتراحى .

الطبيب الثاني : لا داعى لهذا . فالمريضة هادئة جدا !

(لجوليا) سيدتى الكريمة الفاضلة . (جوليا لا تتحرك) .

الطبيب الأول : إنها لا تسمعنا .

الطبيب الثاني : طبيعى أن تحس بالإرهاق بعد الانفعال الشديد ، وهو فى الواقع أمر عادى .

الطبيب الأول : عادى جدا !

الطبيب الثاني : (لجوليا) سيدتى الفاضلة ! (جوليا لا تستجيب) .

الطبيب الأول : لدى انطباع ، يابروفيسور ألفاريز ، بأن رأينا واحد فى هذه الحالة .

الطبيب الثانى : وما هو ؟

الطبيب الأول : لست مضطرًا للإفصاح عنه .

الطبيب الثانى : أجل ، لست مضطرا لذلك . إننى أقدر موقفك تماما . ولكن إذا لم تكن الحالة مرضية ، فهل من حقنا أن نضعها تحت المراقبة ؟

الطبيب الأول : (ساخرا) طاطا !

الطبيب الثانى : لا بد أن أصارحك بنفورى من هذا الموضوع . أشعر فى دخيلة نفسى بأننى غير مستريح !

الطبيب الأول : ولكننا مضطرون لهذا .

الطبيب الثانى : لا تعذبنى بهذا الاضطرار !

الطبيب الأول : أنا أعذبك ؟ كيف خطر هذا على بالك ؟ أنا ؟

الطبيب الثانى : شىء فظيع !

الطبيب الأول : ولكن إذا أخرجناها من المصحة ، إذا قلنا إنها ليست مريضة على الإطلاق ؟

الطبيب الثانى : فظيع .

الطبيب الأول : سيقتلها زوجها ويقتل معها هذا المدعو بوردا فيلا .

الطبيب الثانى : أجل . ومن جهة أخرى : لدى ضميرى المهنى !

الطبيب الأول : أنت تدرك بغير شك أننا نمنع فى هذه الحالة وقوع جريمة أسوأ !

جوليا : لست طبيبا !

الطبيب الأول : رائع ! هل سمعت يابرفيسور ألفاريز ؟ أنا لست طبيبا !

الطبيب الثانى : رائع ! هذا يعفينا من المسئولية !

جـــولـيـــا : أنت عطيل !

الطبـيب الأول : أنا عطيل ؟

جـــولـيـــا : سأهمس فى أذنك بأغنية (تغنى) :

« البنت البنت الشغالة جلست فى الصبح الباكر

جلست تحت الصفصافة وانطلقت تشدو بغناء ساحر »

لابد أنك تعرفها ؟ فهى ليست من اختراعى !

الطبـيب الأول : (للطبيب الثانى) اسمع ! حاول أن تسمع !

جـــولـيـــا : معذرة لقد أخطأت ! الواقع أن دماغى مشوش . الدليل على هذا أننى حسبـتك زنجيا ! آه ياجوليـا ! ياجوليا ! افتحى عينيك !

(الطبيب الأول يستدير نحو جوليا .. إنه هو فرناندو كراب . ثم لا يلبث أن يرجع لوضعه الأول) .

الطبيـب الثانى : يتحـتم علينا فى الواقع أن نقرر بأن فـرناندو كراب هو المجنون الحـقيـقى . يجب علينا أن نؤكد هذا بـصوت مرتفع وبكل حزم .

جـــولـيـــا : أعترض على هذا ! إنه أخبث بكثير من عطيل ! عطيل مجرد حيوان بليد ، والمشهد الحاسم (فى المسرحية) يوضح هذا تمامـا . أليس كـذلك ياخـوان ؟ - أنت الآن تلزم الصـمت . تنكرنـى . ألم نتـجـاذب أطراف الحـديث باسـتـمـرار فى الكـشك ؟ ألم نتكلم عـن المشكلات النفسية بـاستخدام الجمل الشرطية ؟ لقـد انتقم فرناندو كراب لنفسه بطريقة مختلفة كل الاختلاف عن عطيل .

هل أنا الآن ميتة ؟ إنه لم يخنقنى ؛ لأنه لا يمس بأذى أى شىء يملكه . وهو لم يقتلك أنت أيضا ياخوان ؛ فأنا أراك الآن أمامى . عفوا يابروفيسور ألفاريز - أم ترانى أخطىء مرة أخرى. اكشف نفسك ياجبان ! ياجبان ! ياجبان !

(الطبيب الثانى يستدير نحوها . يتبين أنه هو الدوق) .

الطبيب الثانى : (الدوق) جوليا ! أنا يائس يأسا فظيعا ياجوليا ! . . حاولت أن أعبر عن يأسى ، وأن أعطيه شكلا . . شكلا يمكن أن أسميه مرثية . . لكن الألم الذى يوحى إلى بالصور السوداء الثقيلة ، يمنعنى فى نفس الوقت من تقييدها فى حروف على الورق . . . فاض بى الحزن حتى تعذر على التعبير عنه بالكلمات - كل شىء ينضح بالألم - أخشى على نفسى أن أتجمد ! أنت تعرفين استعدادى التعس للإصابة بنوبات الاغماء ، جوليا . . حبيبتى جوليا ، من الذى سيفهمنى لو فقدتك ؟ أنت وحدك . .

جوليا : وأنت أيها الخائن ! لقد تخليت عنى ! أنت المسئول عن حبسى هنا (صارخة) فى مصحة المجانين !

الطبيب الثانى : (الدوق) آه ياجوليا المسكينة ! ياروحى المسكينة !

الطبيب الأول : لو أبقيناها هنا مدة أطول ، فربما تمرض بالفعل يابروفيسور ألفاريز .

جوليا : سيدى البروفيسور ألفاريز . لقد توصلت لحقيقة لابد أن أخبرك بها : هذه الزوجة المكسيكية . .

الطبيب الأول : من تقصدين ؟

جوليا : لا تدع الجهل بالموضوع ! لقد جمعت بنفسك كل التقارير وقرأتها عليّ ! أقصد زوجة زوجى الأولى فى المكسيك. لقد تبين لى الآن بوضوح أنه لم يلجأ إلى القوة لقتلها ، إذ لم يكن فى حاجة لاستخدام القوة فى قتلها ! لقد صحوت من غيبوبتى وفتحت عينى. إنه هو الذى أوصلها إلى الحالة التى دفعتها للموت من تلقاء نفسها .

الطبيب الأول : آها !

جوليا : هل تحبنى ، ياسيادة البروفيسور ألفاريز ؟

الطبيب الأول : عفوا ؟

جوليا : الجميع يحبوننى لجمالى . سأقول لك الآن لماذا أحب زوجى، لماذا أحب فرناندو كراب. لا تهرب أرجوك !

(الطبيبان يلوذان بالفرار) .

جوليا : يا للدهاء الذى قهر به هذا الدوق بوردافيلا وجعله يكشف أمامى عن تعاسته المزرية ! كنت عمياء . حكمت على نفسى بالعمى ! أما هو ! أما هو فقد أنقذنى . لقد عرف كل شىء ورأى كل شىء ودبر خطته الشيطانية . هل قلت « الشيطانية » ياجوليا ؟ أجل . هذا هو الذى قلته . ولم تزل الكلمة معلقة فوق رأسى فى الهواء ! لقد أنقذنى ملاك شيطانى من السقوط فى الهاوية . لهذا أحبه ! أحبه .

- ١٠ -

-((جوليا - فرناندو كراب - يدخل فرناندو))-

جـــولـيـــا : فرناندو . سامحني . (تسقط منهارة على الأرض) .

فرناندو كراب : وعلام أسامحك ؟

جـــولـيـــا : سقطت على الأرض فجأة ، أشعر بضعف شديد . لقد قاسيت طويلا من المرض .

فرناندو كراب : لا ، لا . يجب أن تنهضى . كل شىء على ما يرام . (يرفعها من على الأرض)

جـــولـيـــا : سامحنى !

فرناندو كراب .: علمت من أطبـاء المصحة أنك عـوفيت تمامـا من حالة الذهان التى أصابتك .

جـــولـيـــا : كنت مجنونة ! مجنونة جنونا فظيـعا ! وكم كذبت فى أثناء جنونى ! وكل هذا لأثيـر غيـرتك ! لهذا السـبب وحده ! هل تصدقنى ؟

فرناندو كراب : (فى غاية البرود) : لقد سألتنى مرة إن كنت حقا قد قتلت زوجتى الأولى . وسألتك هلى يمكنك أن تصدقى هذا . هل تذكرين ردك علىّ ؟

جـــولـيـــا : قلت لك : لا . لا أصدق . ولن أصدق ذلك أبدا .

فرناندو كراب : كذلك أقول لك اليوم : كـما لم تصدقى أننى ارتكبت هذه الجـريمة ، كذلك لم أصــدق أبدا تلك الحكاية مع الدوق .

- ١١ -

-((الـــــدوق))-

الـــــــدوق : (يقرأ خطابا) « لعلك قد عـرفت ، ياعزيزى الدوق بوردا فيلا ، أن زوجتي قد غادرت مـصحة الأمراض العقلية وهى فى أتم صـحة وعـافيـة . وهى تريد أن تتحـدث معـك . تعال لزيارتنا بعـد غد الخـميس لكى نـسوى المسألة . زوجـتى ترجوك رجاء حـارا ، وأنا أصر على حـضورك . أنا واثق من أنك سـتـحضـر . يمكنك أن تتصـور العواقب الوخـيمـة التى قد تترتـب على عدم حضورك . فأنت تعرفنى جيدا . فرناندو كراب » .

- ١٢ -
-((جوليا . فرناندو كراب . الدوق))-

فرناندو كراب : من فضلك أحضرى الشاى بنفسك ياجوليا ! واصرفى الخادمة ورئيس الخدم أيضا . يمكنهما أن يأخذا اليوم إجازة . والمساء كله .

الدوق : شاى ؟

فرناندو كراب : لا . لا . لا داعى للقلق ! أنا فى أتم صحة ولا أشكو من أى تعب فى المعدة . أنت بالطبع تحب اللقاء على الشاى . لهذا قررت أن تشرب الشاى . هل أنت مستريح فى مكانك ؟ يمكنك بكل سرور أن تجلس على الأريكة ، جوليا لن تعترض بكل تأكيد إذا رأتك على ملاءتها الهندية الجميلة .

جوليا : أبدا . أبدا . ليس لدىّ أى اعتراض .

الدوق : أنا مستريح هنا تماما . شكرا لكما (صمت) .

فرناندو كراب : ياللهدوء البديع ! لولا هذا الصوت الغريب الخافت . آخ . . إنه فنجانك الذى يحتك بالطبق ! . .

(الدوق يعدل بسرعة وضع الفنجان) .

فرناندو كراب : معذرة فأذنى شديد الحساسية . لم أقصد أن أسبب لك أى حرج .

الدوق : وما وجه الحرج إذن ؟ لا . لا ! . .

فرناندو كراب : بل سببته لك ! فأنت إنسان مثقف ، ورأيك فىّ أننى مخلوق فظ ، ولكن لا بأس . جوليا ، لقد صببت

الشاى لضيفنا الدوق وحده ، لماذا لم تصبى لى أيضا؟
أريد أن أتناول جرعة قبله ، حتى يطمئن السيد الدوقُ
إلى أن الضيوف يمكنهم أن يستمتعوا فى بيتى بكل ما
يقدم لهم دون أى خوف أو قلق .

جوليا : أعلم أنك تشربه بالسكر ! (تضع السكر فى فنجان الدوق) .

فرناندو كراب : أنا فى العادة لا أقرأ الروايات والكتب الأدبية وما
أشبه، بل أكتفى أحيانا بقراءة الجرائد اليومية وأخبار
الحوادث . بهذا يعرف الإنسان ما يدور فى الدنيا .
أليس كذلك ؟

الدوق : لا أدرى . لا أستطيع أن أحكم . . .

فرناندو كراب : (لجوليا بلهجة مرحة) هل رأيت كيف تقلص وجهه ! إنه
لا يطيق كلامى ، هذا المثقف الحساس ! فى هذه
الأخبار نقرأ أحيانا عن بعض الجرائم التى لاتصدق
ونتعجب من أحوال البشر . أنا نفسى أتعجب منها ،
مع أنى أعتقد أننى أعرفهم بحكم أننى من رجال
الأعمال . ولكن لا يستطيع أحد ياسيادة الدوق أن
يخدعنى .

الدوق : لا . بالتأكيد لا .

فرناندو كراب : ثم إنك تعتبرنى كذلك إنسانا قادرا على كل شىء !

الدوق : هناك حدود . . . هناك حدود معينة . . .

فرناندو كراب : الناس كلهم يمكن أن يباعوا ويشتروا ، أم لك رأى
آخر؟

الـــــــــدوق : الحقيقة . . . أرجو ألا يكون هذا صحيحا . . .

فرناندو كراب : بعضهم يملك العقل ، والبعض يملك المــال .

جـــولـيـــا : يجب التسامح مع الفنانين فى بعض تصرفاتهم .

فرناندو كراب : ومن الذى يتكلم هنا عن الفنانين ؟ تذكـرت ! سمعت أنك تنظم الشعر للتسلية .

الـــــــــدوق : إننى أحاول فى بعض الأحيان . . أن أعبر عن نفسى .

فرناندو كراب : وهذا هو الذى أفعله أنا أيضا ! إننى أقول ما أريد .

الـــــــــدوق : أعنى أننى أقوله شعرا . . . فى إيقاعات حرة .

فرناندو كراب : استـمـر فى ذلك على راحـتك ! وإذا جـمعت القـدر الكافى ، فسوف أطبعه على نفقتى .

الـــــــــدوق : سيشرفنى هذا . . . شرفا عظيما .

فرناندو كراب : شـرف ! . . . شرف ! . . كـلام فـارغ . أنت بالطبع لاتجد أحدا يطبع ما تقوله !

الـــــــــدوق : أبدى البـعض قـــدرا من الاهتـمـام . . وإحـدى دور النشر . . .

فرناندو كراب : وهذا أفضل ! بهذا أشترى الكمـية كلها وتخزنها ، كم نسخـة هى إذن ؟ - فى كشك جوليـا - عظيم جدا ! هل يسعدك هذا . .

الـــــــــدوق : أشكركم على اهتمامكم . .

فرناندو كراب : ولكن ينبغى عليك أن تفكر فى كتابة روايات بوليسية ! قـصص عن جرائـم القتل ! سـيكون الإقـبـال عليهـا أشد . . .

الـــــــــدوق : ليس هذا للأسف هو الجنس الأدبى الذى أحبه . . .

فرناندو كراب : تصور أننى قرأت مؤخرا عن زوج ذبح عشيق زوجته ، ثم فصل رأسه الذى ينز بالعقل والحكمة فصلا تاما عن جسده .

الـــــــــدوق : من الواضح أنه مصاب بمرض عقلى . .

فرناندو كراب : ليكن الأمر كذلك . المهم أنه قام بعد ذلك بتقطيع الجسد قطعا صغيرة وعلف بها الدجاج . لم يعثر رجال الشرطة إلا على الرأس .

الـــــــــدوق : شىء فظيع !

فرناندو كراب : الحقيقة أنه كان يملك مزرعة للدواجن . . وقصة أخرى لا أريد أن أضايقك بها .

الـــــــــدوق : أبدا ! أبدا ! تفضل . . .

فرناندو كراب : الواقع أن جوليا تأثرت تأثرا شديدا ؛ فهى فى العادة لا تهتم بقراءة التقارير التى تنشر فى صحف الحوادث والفضائح . . وهذا بالطبع شىء لا بأس به . . فهى تفضل أن تشغل نفسها بما هو أجمل . إنها محاولة لقتل الزوج ، وهذا هو الذى كشف عنه التحقيق . ولكن الزوجين تصالحا بعد ذلك وتمكنا من إرسال العاشق- وهو بالمناسبة حلاق الزوجة - إلى الشيطان . مغزى القصة : شنق الحلاق نفسه .

الـــــــــدوق : يا سيد كراب . . . أرجو . . .

فرناندو كراب : لابد أننى أثقلت عليك ! أم بـدأت تشعـر بالقلق لأنك لم تعـــرف حـتـى الآن لمـــاذا رجـونـاك أن تشـرفنا ؟ جوليا !

جـــــولـيـــــا : طلبت من زوجى أن يدعوك للحضور لأننى وجدت من واجبى أن أعتذر لك عن الإهانة الشــديدة التى وجهتها إليك .

الـــــــــدوق : ولكنى لا أعرف ماذا تقصــدين بكلامك هذا ياجوليا ! فأنت لم تسيئى إلىّ أبدا !

فرناندو كراب : يستـحيل على إنســان مثـقف مثلك ، ياســيادة الدوق بوردافـيلا ، أن لايدرك حـقـيقـة الموقف على الوجـه الصحيح . .

جـــــولـيـــــا : أعتـرف بأننى وضعـتك فى موقف شــديد الحرج أنا آسفة غاية الأسف .

الـــــــــدوق : إنكما تسببــان لى الارتباك الفظيع . . وأنا لا أعرف فى الواقع . . .

فرناندو كراب : (يقاطعه) حذار ! (الدوق يصاب بالرعب ولا يدرى ماذا يقول) .

جـــــولـيـــــا : أنت إنســان فى غاية الأدب والذوق ولاتريد أن تسـبب لى أى حرج .

فرناندو كراب : لابد أنك تقدر أن الإنسان الذى يـلحق أذى بإنسان آخر ويشعر نتيجـة ذلك بالإحساس بالذنب تجاهه ، لابد أن يطلب منه أن يسامحه ويصفح عنه

الـــــــدوق : طبعـا ياسيد كـراب . ولكن أى أذى تقصـد ؟ وما هو الظلم الذى وقع علىّ ؟

جـــولـيــــا : لقد كنت فى غاية المرض - مرض المخ ! لهذا أطمع فى أن تعفو عنى .

الـــــــدوق : أرجوك ياجوليا ألا تعذبى نفسك .

جـــولـيــــا : بل أريد أن أتكلم . أن أستـجمع كل شجـاعتى وأنطق بكل شىء ولا أحـاول أن أجمل أى شىء ، حـتى إذا صفحت عنى ، شعـرت شعورا حقيقـيا بأننى أصبحت حرة .

فرناندو كراب : (بفظاظة) كفّ عن مقاطعتها !

جـــولـيــــا : لقد وقعت تحت تأثير نوبة الجنون التى أصابتنى فادعيت أنك لاحقتنى وغازلتنى وهمـست فى أذنى بالاعترافات الحارة بحـبك لى ، كما زعمت أنك نجـحت فى إذكاء لهيب عواطفى نحوك .

الـــــــدوق : أنت قلت هذا ياجوليا ؟

فرناندو كراب : أجل قالته لى ! والآن يبدو عليك الرعب !

جـــولـيــــا : وادعيتُ أخيرا أننى اسـتسلمت لك فى النهاية . آه من تلك الحـالة التى وصلت إليـهـا ! كـانت حـالة جنون كامل! كيف أمكننى أن أقول شيئا كهذا ؟

الـــــــدوق : آه ! يؤسفنى هذا غاية الأسف .

فرناندو كراب : أجل ، لقد تعرضت لموقف مؤلم غاية الألم .

جـــولـيــــا : وقلت أيضـا مـا هو أكـثر من هذا ! قلـت إننا ارتكبنا أفعالا فاضحة جدا ، فوق هذه الأريكة نفسها ! لا مرة

واحدة ، بل مرات عديدة ، ،وبصورة متكررة . وقلت
إنك كنت تحضر أحيانا بالليل ، عندما يكون زوجي
على سفر. إنني أعترف الآن ببشاعة كل ما صدر عني،
وبأنني وضعتك في موقف مؤلم ومحرج غاية الحرج !
كانت فكرة ثابتة تسلطت على رأسي . يؤسفني أنك
تحملت الأسئلة التي وجهت إليك في حضرة الأطباء
عن العلاقة المزعومة بيننا . لابد أنها كانت لحظة مريعة
بالنسبة لك ، ومع ذلك أرجوك أن تسامحني إذا
استطعت ، أتوسل إليك (صمت) .

فرناندو كراب : هل تقبل هذا الاعتذار ؟

الـــدوق : يجب أن أعترف . . .

فرناندو كراب : نعم أولا ؟

الـــدوق : نعم - إنني أسامحها . أسامحكما معا .

فرناندو كراب : (في غلظة) انتبه لما تقول ! أنت لم تسيء إليّ حتى
أسامحك .

الـــدوق : لا لم أفعل . هذا صحيح .

فرناندو كراب : ألاحظ أن أعصابك منفعلة . هدىء نفسك من
فضلك. لقد سويت المسألة تماما - أرأيت ياجوليا ،
كان هذا هو عين الصواب .
(للدوق) ليس مما يلائم طبعي وخلقي أن أداري على
الأشياء الكريهة .

جـــوليـــا : وأنا في غاية السعادة يافرناندو .

فرناندو كراب : لو سولت لك نفسك أن تصور المسألة بشكل آخر ياسيادة الدوق . .

الــــــــدوق : لن أفعل قطعا !

فرناندو كراب : من يدرى ؟ إنك تتسكع فى كل مكان وتثرثر . . ربما فى « إيقاعات حرة» . . . أنصحك بأن تكف عن هذا . إنك تعرفنى .

جــــولــيـــا : آه ! هذه النافذة المفتوحة . أسمع من خلالها زقزقة العصافير بين الأشجار !

الــــــدوق : أعتقد أن وجودى لم يعد مرغوبا فيه . . . (يريد أن ينصرف) .

فرناندو كراب : انتظر ! لى رجاء آخر عندك ياسيادة الدوق بوردا فيلا . تعال لزيارتنا كما تشاء! حتى لو كنت غائبا عن البيت ، فلا يصح أن يزعجك هذا . لو قطعنا العلاقة التى بيننا فجأة لأساء هذا إلى سمعتنا وأعطى الفرصة لمروجى الإشاعات . أليس كذلك ياجوليا ؟

جــــولــيـــا : أجل يافرناندو .

فرناندو كراب : ربما لديكما أسرار تقولانها لبعضكما . . بعيدا عن الأنظار . . ولا تحبان أن تفصحا عنها فى حضورى . . لهذا أترككما الآن . . (ينصرف) .

- ١٣ -

-((جوليا والدوق يجلسان صامتين . الدوق ينظر فى قلق إلى الباب))-

جـــولـيـــا : لاتتلفت دائما إلى الباب !

الـــــدوق : (هامسا) هل يمكن أن يتصنت علينا ؟

جـــولـيـــا : لا داعى للهمس !

الـــــدوق : أحس أن صوتى هرب منى .

جـــولـيـــا : ليس من طبع فرناندو كراب أن يسترق السمع وراء الأبواب ويتصنت على ما نقول !

الـــــدوق : بعد كل ما جرى . . .

جـــولـيـــا : صدقنى ياخوان . لا داعى للقلق .

الـــــدوق : تقولين لى لا داعى للقلق ؟ أنت ياجوليا ! إننى الآن لا أعرف من أنا ! لو لم تكونى جالسة أمامى ، ولولا أنك تنادينني ياخوان - بهذا الاسم الذى أعرفه والذى أربطه بشخص معين يلقب بخوان دوق بوردا فيلا - شخص كنت أعتقد أننى أعرفه-لولا هذا ماعرفت . . .

(جوليا تبتسم) .

الـــــدوق : إننى أحمل فى نفسى ذكرى هذا الشخص . ليس معنى هذا أننى أعجبت به إعجابا خاصا أو أننى قدرت جميع خصاله ، لا . ليس هذا ما أعنيه ! لكنه على أية حال لم يكن فى نظرى شخصا مثيرا للتقزز . أما الآن ياجوليا - أما الآن فإننى أتقزز من نفسى ، وأشعر أن نفسى تتقزز منى ! (يبكى) ها أنت ترين بنفسك المصير

الذى انتهيت إليه ، المصير الذى آل إليه هذا الإنسان الذى سبق أن أحببته (جوليا صامتة) .

السدوق : الحزن الفاجع يقهرنى .

جوليا : لا ياخوان .

السدوق : هل بقى لديك أى أمل ؟ هل يمكنك بعد هذه التمثيلية المشحونة بالقبح والكذب والافتراء أن تتصورى بريق أمل فى أن نرجع مرة أخرى لأنفسنا ، وأن تبعث فى مشاعرنا الصافية أنفاس الحياة من جديد ؟ بعد هذا المنظر البشع !

جوليا : أى منظر ياخوان ؟

السدوق : مازلت أرانى وأنا أقف هناك ، تعسا مدحورا أعزل من كل سلاح ، وأرى الطبيبين يؤديان دور الشاهدين اللذين فهما التمثيلية الملعوبة تمام الفهم ، وأدركا كيف أكرهت على التنكر لك ؛ هذا المنظر البشع الفظيع الذى أهنت فيه أحط إهانة ، كما أهنت أنت أيضا معى .

جوليا : مسكين ياخوان !

السدوق : تصورت بعدها أن عيوننا لن تتلاقى أبدا .

جوليا : هل تصورت هذا ؟

السدوق : يالقوتك الخارقة ، يالقوتك !

جوليا : أجل . لأنها مستمدة من حبى .

السدوق : إنك- إنك تهدين لى الحياة من جديد ! تهبيننى الأمل! تمنحيننى كل شيء .

جــــولـيـــا : كم كنت غبية ! وهأنذا أفـهم أخيرا كل شيء ، بعد أن سقطت عنى الأخطاء وزال التشوش والاضطراب .

الـــــــدوق : أخشى أن يكون واقفا وراء البـاب يتصنت علينا ! كيف أصـدق ياجوليـا أن يجبـرك أحـد على طلب الصـفح منى؟

جــــولـيـــا : أنا نفسى وجدت أن هذا شيء بديهى .

الـــــــدوق : جوليا - أنا الآن عاجز عن فهمك .

جــــولـيـــا : أظن أن كل ما حدث كان يوافق رغبتك ، لقد سبق أن أكـدت بأن حكاية الحب كـلهـا لم تكن إلا وهمـا من جانبى ، كـما أننى اعـتذرت لك أخيـرا عن خطأى . كنت على حق ، وليس هناك ما يدعوك للقلق .

الـــــــدوق : ولكن ياجوليا ! أتريدين الآن أيضـا ونحن وحدنا تماما ولا أحد يجبرنا على الكذب ، أتريدين أن تنكرى أنك عرفت حقـيقة مشـاعرى نحوك ، وأنك استـجبت لها وكنت حبيبتى ؟

جــــولـيـــا : كفَّ عن هذا الكلام أرجوك .

الـــــــدوق : لكننى متأكد منه ! متأكد منه !

جــــولـيـــا : هذا هو الذى تتصوره ياعزيزى خوان . وهو الذى أدى بك للجنون (تضحك - الدوق يفرُّ مذعورا) .

فرناندو كراب : أثبت فرناندو كراب أنه هو المنتصر. وهذا أمر بديهى . فقـد أحبته بكل مـا فى قلبها من قـوة . ثم جاء الموت وأخذها . أخـذ جمالها أولا . ثم أخـذ شجاعتـها . وأخيرا أخذ أنفاسها .

- ١٤ -

-((جوليا - فرناندو كراب))-

فرناندو كراب : لقد أسقطت المشط من يدك .

جـــوليـــا : (هامسة) آخ ! لم ألاحظ هذا على الإطلاق .

فرناندو كراب : هو على كل حال مجرد شيء خفيف الوزن ، وهو يلتوى فى يدى بمجرد أن أقبض عليه .

جـــوليـــا : (هامسة) أعطنى إياه .

فرناندو كراب : وهذا شيء يوافق طبعى . فى إمكانى أن أسوى به قصتى .

جـــوليـــا : (هامسة) أجل .

فرناندو كراب : لم تضحكى لما قلت - فى إمكانى أيضا أن أتحكم فى تقاطيع وجهى وأرسم وجوها مختلفة ! - انظرى: هذا مثلا قرد عجوز . . . وهذا أسد مزمجر ! . الحيوانات فقط هى التى تخطر على بالى . مع أن هناك ما يكفى من الوجوه البشرية المفتعلة ! يكفى أن تتذكرى ضحكة ألفونسو الذى كنت دائما تخافين منه ! لقد حكى لى الدكتور هرما نشتتر عن مجنون كان من عادته أن يجوب الشوارع ويراقب ملامح الناس وكل تعبيرات الوجوه ويطبعها على ذاكرته ، نوع من القهر أو الحصر! ثم يختبىء فى دهليز مظلم ويحاكيها جميعًا فى الخفاء لكى يستطيع أن يتحرر منها ، مثله مثل شخص يتقيأ طعاما فاسدا. حاولى أن تتصورى هذا ! ها هو مشطك .

جـــــولـيـــــا : (هامسة) لا أطيق أن يسقط الشعر على وجهى .
فرناندو كراب : أنت تستحقين مشطا آخر ، مشطا مطعما بالألماس .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) إننى أموت يافرناندو .
فرناندو كراب : لا ، لا ، لا ! كفّى عن هـذا الـهراء ! تعلمين أننى لا أطيق هذا .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) انظر فقط إلى وجهى .
فرناندو كراب : (صارخا) لن تموتى ! هذا مستحيل ! أنت ملكى ! وأنا لا أتنازل عنك ! لا أتنازل عنك لأى مخلوق ! ولا للموت نفسه ، هذا الوغد الملعون !
جـــــولـيـــــا : (هامسة) آه كم تحبنى ! قلها ! قلها !
فرناندو كراب : أنت تعلمين هذا جيدا .
جـــــولـيـــــا : (هامسة) لكنك لم تنطق بها أبدا. لم تقلها مرة واحدة ! ربما تردّ إلىّ القدرة على الحياة .
فرناندو كراب : عندها سقطت كل الأغلال التى كانت تقيد قلبه ، وتكلم لأول مرة عن حبه لجوليا ، تكلم كثيرا ولم يستطيع أن يتوقف ،وأخذ ينشنج بالبكاء ويصرخ وينوح. أطبق على جسدها الواهن المنطفىء وضغطه على صدره ، استلقى بجانبها على السرير وراح يهتف بغير انقطاع : خذى حياتى ! خذى حياتى ! خذى دمى ! لن أتركك للموت !
جـــــولـيـــــا : (هامسة) إنك تبكى . ولكننى سعيدة .

فرناندو كراب : هكذا ماتت . وبعد أيام فتح الباب ووجدوا فرناندو مع
جوليا . ولابد أنه رفع الزوجة الميتة من الفراش وحملها
حتى كـاد يصل إلى البـاب . هناك خرّ مـعها سـاقطا
على الأرض . وعندئذ قطع شـرايين يده . هكذا مات
وهو لا يزال يضمها بين ذراعيه .

(تمت بحمد الله)

الإشراف اللغوى : حسام عبد العزيز

الإشراف الفنـــى : حســن كامـــل

Grosse Schmahrede An Der Stadtmauer

Fernando Krapp Hat Mir Diesen Brief Geschrieben

يقدم هذا الكتاب مسرحيتين – أو بالأحرى لعبتين تمثيليتين – لتانكريد دورست (من مواليد سنة ١٩٢٥)، الذى تألق نجمه فى سماء المسرح الألمانى والعالمى خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

والمسرحية الأولى «خطبة الإدانة الطويلة أمام سور المدينة» ترجع لسنة ١٩٦١ وتعد من أهم أعماله المبكرة التى أسهمت فى ذيوع شهرته، كما سلطت الضوء على الحقيقة العارية للإنسان العادى، الذى ينشغل المؤلف بحياته المعذبة ومصيره المظلم، ويطالب معه بمكان آمن ونظيف تحت الشمس، وذلك على لسان الزوجة الصينية الشابة التى تقف أمام سور الصين، وتنادى القيصر وجنوده متوسلة أن يعيدوا لها زوجها الذى مات فى الحرب، فيرسلوا لها بديلاً خائبًا عنه وتفشل التجربة ويبقى السور رمزًا للقهر والجبروت.

أما **المسرحية الثانية** «فرناندو كراب أرسل إلى هذا الخطاب» فترجع لفترة متأخرة من إنتاج دورست (١٩٩٢)، وتعالج كذلك موضوع البحث عن الحقيقة الإنسانية البسيطة النابضة بالصدق والحياة هذه الحقيقة التى سقطت تحت أقدام رجل أعمال قاس لا يؤمن – مثل شطّار العصر الذى نعيش فيه – إلا بالمال والتملك حتى للمرأة التى يبخل عليها بكلمة أحبك، ويظل يعذ[...] تموت بين يديه فيتفجر حبه الموئود بعد فوات الأوان.

إن هذا الكاتب يبحث فى مسرحياته وسيناريوهات أفلامه السينمائي[...] الملائمة لعلاقته «التمثيلية» أو «الدرامية» بالواقع والعالم والتاريخ، مح[...] الأسئلة الكبرى: كيف ينبغى علينا أن نعيش؟ وماذا ينبغى علينا أ[...] يواصل فى كل أعماله طرح الأسئلة التى تثير القارئ أو المتفرج [...] النقدى الفعال وتخلصه من أوهامه وتطلعاته للقوة والتملك والثروة، و[...] الإنسانية الحقيقية مع الإصرار على رفض كل الإجابات النهائية والحق[...] والحلول والمشروعات «اليوتوبية» التى أثبت التاريخ فشلها الذريع.

لوحة الغلاف للفنان مارك

